

العرب ظاهرة صوتية

اعداد وتقديم وعرض - سلام محمد
شاعر و محامي كردي مقيم في السويد

القسم الاول- تمهيد و تعريف

حينما اقرأ لـ(عبدالله القصيمي) ادرك فعلا بان (العالم ليس عقلا) وارى في كتاباته ترجمة ذكية واعية للضمير الانساني واعترف بانني اردت احيانا ان اكتب مثلما يكتب او على الاقل حاولت ان اكتب مثلما يكتب وكلما راودتني فكرة معينة وجدت انه قد سبقني في هذا المضمار ومن الصعوبة على اي كاتب ان يتجاوز ماتطرق اليه القصيمي لما تحتويه افكاره من خصوصية وشمولية وعمق.

لقد كان قدري ان اكون محاصرا بجيوش من الاسئلة اللامتناهية عن الكون والاله والموت والروح والمادة وتأملت بكل صدق في الوجود والظواهر الطبيعية والكونية وفي ملايين الكائنات الحية الاخرى التي تعيش على سطح الكرة الارضية وفي اعماق البحار وهي (لاتنطق) لآنها وجدت وخلقت هكذا، اي بدون نطق ولم تتمكن هذه الكائنات ان تتجاوز هذه المرحلة من قانون التطور الدارويني مثلما فعله الانسان الذي يعتبر اذكى هذه الكائنات، والحيوان الناطق الوحيد حينما استطاع التعبير عما يجيش في اعماقه من رغبات وحاجات خلال لغة بدائية بسيطة مصاغة اصلا للتعبير عن هذه الرغبات والحاجات تحولت فيما بعد الى نصوص ادبية رائعة كما هو الحال لدى اليونانيين القدامى وتكونت لغات عديدة في العالم وياتت ركننا اساسيا من اركان تواجده القومية حيث لاوجود لقومية في عالم اليوم ما لم تملك هذه القومية لغة خاصة بها تختلف عن جميع اللغات الاخرى.

وهي(اي اللغة) لاتزال في تطور مستمر ومذهل علما انها لا تولد عند الانسان وانما يتعلمه الانسان عن محيطه وبينته مثلما يتعلم العديد من العادات والتقاليد. وقد يكون بإمكان الانسان الواحد (اذا كان مؤهلا ذاتيا) ان يتعلم العديد من اللغات قراءة وكتابة.

ان اللغة العربية هي (لغة القرآن) وتقف بجدارة في طليعة اللغات العالمية الحية بما لها من تراث وتاريخ وقواعد ولا يخفى ما للقرآن من دور كبير في الحفاظ على هذه اللغة من التصدع والتآكل امام اللغات الاجنبية وامام اللهجات المحلية ايضا، حيث لاتزال اللهجة العربية الفصحى تطفئ دون اي تردد على جميع اللهجات المحلية الاخرى.

ونحن كرد العراق مديون شننا ام ابينا كثيرا للغة العربية وقد اخذنا الكثير وتعلمنا الكثير منها، بل ان الثقافة العربية قد اثرت فينا تأثيرا عميقا من المستحيل محو اثارها بسرعة وبسهولة، ولا اجدني مبالغا اذا قلت ان المثقف الكردي في العراق يفكر الى حد قريب جدا بما يفكر فيه المثقف العربي مع مراعاة التأثيرات النفسية الناجمة عن الاضطهاد القومي للکرد من قبل العنصريين العرب.

هذا بالنسبة للمثقف الكردي اما بالنسبة للسياسي الكردي فانه اسوء حالا بكثير من المثقف لكونه مقيدا بالاغلال العربية والاسلامية وهو بحاجة الى وقت وشجاعة لتدمير هذه الاغلال والخروج من تحت العقال العربي والعباءة العربية لكي يستقبل تدريجيا افكارا اخرى اكثر ملائمة ويكون بالتالي صاحبها ومالكا لذاته تحت مظلة الفكر الكردي الغائب تماما حاليا.

ان يستفيد الانسان الكردي من الفكر العربي والثقافة العربية شئ وان يحاول تقليده شئ اخر لان المقلد مهما كان ذكيا وبارعا، سوف لن يكون بإمكانه تجاوز الاصل وسوف يظل يتدحرج في متاهات التكرار وقد يكون ناجحا نوعا ما في تقليده او فاشلا كالغراب الذي اراد تقليد الحمامة في مشيها. المقلد في افضل الاحوال ليس الا مقلدا ولا يمكنه ان يكون مبدعا في التقليد او ان يتجاوز مرحلة التهريج والترثرة والتكرار والاعادة وان النطق الصادر منه يكون اكثر قربا من اصوات الحيوانات والكائنات غير الناطقة منه الى الانسان . فانت تراهم قاندا يخطب ويثرثر ولكنه بدون نطق وتراه داعية او دكتورا في الجامعة ولكنه يجهل الحديث والتحدث واذا تعمقت قليلا فيما يقوله تراهم ملينا بالاعادة والتكرار وهو بهذا لايتجاوز ما يقوله الخفاش او النمل لانه لم يأت بجديد.

ان عبدالله القصيمي يدعو الانسان العربي الى انقاذ ذاته وشخصيته من مجده وتاريخه وتراثه ودينه وحتى من ربه وهو يرى بان الانسان العربي قد اصيب بمرض عبادة التاريخ والمجد والتراث فاصابه العمى ولم يعد يرى شيئا سوى الماضي وامجاده.

انه يعتقد بان المثقف العربي يستمد كل قوته من هذا التاريخ والمجد والتراث الكامن فيه، فاصيب بالشلل وهو متوقف عن الحركة ولا يرى شيئا امامه.

ان كل المسافات الشاسعة التي يراه خلفه باتت شبه منتهية وقد آن الاوان ان يتجاوز معلقاته وقرآنه وعدانياته وقحطانياته لان التشبث المتعنت

بالماضي اوقعه (مع جميع الاقوام المتأثرين به ومن ضمنهم الكرد) في فخوخ الاوهام حانلا بينه وبين الابداع والتجاوز او حتى الملازمة مع الواقع الحضاري الجديد وللحاق بالمسيرة الانسانية المتطورة.

(العرب ظاهرة صوتية) احدى مؤلفات هذا العبقري الفذ الذي كتب اكثر من عشري كتابا ضخما بعضها تتألف من عدة اجزاء وآلاف الصفحات وهو عربي ولد في القصيم عام 1907 بالسعودية. هاجر الى الشارقة حيث بدأ رحلة دراسية عبر العراق، الهند، سوريا وحتى القاهرة. اقام لسنوات طويلة في لبنان ومصر حيث توفي ودفن هناك عام 1996. لقد كان القصيمي حتى عام 1945 اصوليا ووهابيا، وفي عام 1946 نشر كتابه (هذي هي الاغلال) الذي يشكل بداية تحوله من قمة الاصولية الى قمة الاحاد ولو كان مؤلف كتاب (العرب ظاهرة صوتية) غير عربي لقامت القيامة من المحيط الى الخليج، وكان جميع العرب ينهالون عليه بالسب والشتم والتهديد والوعيد ولا يتردد الاهابيون على ذبحه وذبح جميع افراد أسرته وعشيرته اذا تسنى لهم ذلك لانه غير عربي وهو ينتقد العرب والاسلام بادلة قاطعة لا تقبل التأويل والمناقشة. والقصيمي مفكر غير معروف (سوى عند النخبة) في الوسط الثقافي العربي فما بالك بالوسط الثقافي الكردي.

ان جميع كتبه ومؤلفاته ممنوعة من التداول في الدول العربية والاسلامية وقد دأبت منشورات الجمل في كولونيا بالمانيا على اعادة طبع بعض كتبه مثل: لنلا يعود هارون الرشيد 1997 وعاشق لعار التاريخ 1999 وهذي هي الاغلال 2000 والعرب ظاهرة صوتية 2002. كما ان دار الانتشار العربي في بيروت قامت في السنوات الاخيرة بطبع مجموعة مهمة من كتبه نذكر منها:

- 1- عاشق لعار التاريخ 2005
- 2- صحراء بلا ابعاد 2003
- 3- ايها العقل من رآك 2002
- 4- ايها العار المجد لك 2001
- 5- فرعون يكتب سفر الخروج 2001
- 6- هذا الكون ما ضميره 2001
- 6- الرسائل المتفجرة 2001

ان الباحث الالماني يورغن فازل قام بتقديم اطروحة الماجستير عن كتاب القصيمي (هذي هي الاغلال) وحسب معلوماتي ان هذه الاطروحة غير منشورة كما هو الحال في اطروحة الدكتوراه لاحمد السباعي التي لاتزال غير منشورة ايضا (اعني باللغة العربية طبعا).

حينما نشر يورغن فازل اطروحة الماجستير عن كتاب واحد فقط من كتب القصيمي (هذي هي الاغلال) لقي الترحيب والحنفاة وسافر عدة مرات الى مصر ولبنان على نفقة الجامعة للمضي قدما في اطروحة الدكتوراه عن سيرة القصيمي وكان لايزال هو على قيد الحياة. ان ماكتبه (سلمان رشدي) في رواية (آيات شيطانية) لا يضاهي ماكتبه القصيمي في فصل واحد من كتبه علما بأن سلمان رشدي قد حكم عليه بالاعدام غيابيا من قبل ايران ولا تزال ايران مصرة على منح من يقوم بتنفيذ العقوبة مبلغ ثلاثة ملايين دولار، وكان هذا هو السبب في ان يكون سلمان رشدي اكثر شهرة من القصيمي الذي لايزال غير معروفا بشكل جيد في الوسط الثقافي العربي لانه محارب (بفتح الراء) وملعون من قبل جميع الانظمة العربية والاسلامية ولحين وفاته عام 1996 كان العدو رقم واحد لأسامة بن لادن لانه كان منهم ثم تمرد عليهم ولانه يفضحهم واحدا تلو الاخر ويصوغ افكاره من تأملاته الذاتية العميقة. يقول عنه انسي الحاج:

(اقرأ القصيمي، ولا تقرأوا الان الا القصيمي، يا ما حلما ان نكتب بهذه الشجاعة! ياما هربنا من قول مايقول، يا ما روضنا انفسنا على النفاق وتكيفنا وحملنا في انفسنا الحقيقة لكي نتقي شر جزء مما لم يحاول القصيمي ان يتقي شر قوله في كتبه ويهجم على الكلمة هجوم بانع الدنيا بكلمة، ولا يرتاح له عصب، ولا يتراجع منه اللسان، ولا تصدقه عينك. أعربي تتسائل هذا القائل هذا).

قلنا ان القصيمي غير معروف في الوسط الثقافي العربي بالشكل الذي يستحقه سوى عند نخبة وصفوة من المثقفين والمفكرين، ولكن رغم ذلك كانت هناك رموز فكرية وثقافية مبدعة ومعروفة امثال د. صادق جلال العظم مؤلف كتاب (نقد الفكر الديني) وحسين مروة ودونيس وانسي الحاج وغيرهم اعجبوا بافكاره وكتبوا عنه، وكانت تربطه علاقة صداقة بالرئيس اليمني الاسبغ عبد الله السلال ولانني من المتابعين لشؤون العراق اكثر من اية دولة اخرى فقد استغربت واندعشت عندما عرفت بأن الزعيم عبد الكريم قاسم الذي كان اول رئيس للوزراء في الدولة العراقية الحديثة بعد سقوط الملكية عام 1958 معجبا بكتاب القصيمي (العالم ليس عقلا) وكتب عنه مقالا بعنوان (العالم ليس عقلا رياضة تمردية) نشر في العدد الخامس من مجلة العلوم البيروتية عام 1962. كما ان كمال جنبلاط الذي اغتيل عام 1977 كان يقدم الدعم للقصيمي منذ منتصف الخمسينات بعد طرده من مصر، ولقد اكد القصيمي نفسه انه كان منذ ذلك الوقت يتبادل الافكار والآراء مع جنبلاط بصورة منتظمة.

ومثلما يدعو (انسي الحاج) المثقف العربي لقراءة القصيمي، اناشد انا كذلك، بل وارجو في مقالي هذا كل مثقف كردي يجيد اللغة العربية بأن يقرأ القصيمي ولا يقرأ الان باللغة العربية شيئا اخر غير القصيمي.

كما وادعو اجهزة الثقافة والاعلام الكردية بما تملكها من امكانيات مادية ومعنوية في الوقت الحاضر ان تقوم بترجمة جميع مؤلفاته الى اللغة الكردية وهو يساعدا بذلك كثيرا للخروج من المحنة الفكرية التي نعاني منها نتيجة تورطنا وليس (تأثرنا) بالثقافة العربية والاسلامية. وارجو ان لايساء فهمي بأنني حائف على العرب او على الثقافة العربية بالرغم من انني وكأي كردي اخر عانيت ولا زلت اعاني من ظلم الانظمة العربية السابقة في العراق والتي توجت وحشيتها في ظل نظام الدكتاتور البائد صدام حسين. اقول بانني لست غاضبا او حاقدا على اي عربي لكونه عربيا بل اجد نفسي ملزما بالشكر والتناء للثقافة العربية التي علمتني كثيرا حيث كانت المكتبة الكردية في مرحلة شبابنا فقيرة جدا وكنا نستعين بالمكتبة العربية لتطوير ثقافتنا ومتابعة الثقافة العالمية وذلك لمحدودية الكتب المنشورة باللغة الكردية في ذلك الوقت، بل وحتى في الوقت الحاضر ايضا. ان اعجابي بالقصيمي ليس بالضرورة بسبب عدم ارتياحي، او استيائي من العرب فقد (شهد شاهد من اهلهما) حينما يزيح النقاب عن الغبار المتناثر على الثقافة العربية بفعل تأثرها بالفكر الديني وخطوره تأثير هذا الفكر العقيم البائد على الثقافة الكردية .

فنحن نعرف بان (دونيس) شاعر عربي كبير ومعروف ولكننا لا نعرف بان دونيس كان متأثرا بافكار القصيمي وقد انعكس هذا التأثير في كتاباته الفكرية عن التراث واللغة والتاريخ والدين جليا.

وفي مقالي هذا سوف اقوم بنشر مقابلة صحفية اجراها دونيس مع عبدالله القصيمي نشرت في جريدة (لسان الحال) عام 1965 وقامت منشورات

الجميل في ألمانيا بأعادة نشرها كملحق لكتاب (لنلا يعود هارون الرشيد) عام 1997 وهنا اود الاشارة ايضا الى انني اعتمدت على كتاب يورغن فازلا الذي قام بترجمته الى اللغة العربية محمود كبيبو عام 2001 في كل ما يخص السيرة الذاتية للقصيمي علما ان اهم كتاب مؤلف عن هذه السيرة هو اطروحة الدكتوراه لمؤلفه احمد السبعوي غير منشور لحد الان لخطورة الافكار الواردة فيه. مات القصيمي وظلت كتبه ممنوعة من التداول ولكنني واثق بان جميع الروافد والجدول والامهار ستصب اخيرا في بحر افكاره وعند ذلك يقول الجميع ما يقوله (النسي الحاج) اليوم (أعربي هذا القائل هذا).

انه يكتب بما يميله عليه ضميره وصدقته الانسانيين من حقائق ووقائع وهو في ازاحته الستار عن الاسرار والخفايا الكامنة خلف الفكر الديني يشبه الطفل الذي اعلن للملأ بان القيصر عاري ولا يكسو جسمه ولو قطعة ملابس واحدة.

وما اكثر القياصرة العراة في يومنا هذا.

وما احوجنا الى اكثر من القصيمي لتثبيت عملية التعرية.

انني اناشد المثقفين الكرد للمرة الثانية ممن لهم دور في ميدان الثقافة الكردية بذل ما بوسعهم لتشكيل لجنة خاصة لترجمة جميع اعمال القصيمي الى اللغة الكردية للحد من المد الاسلامي العربي وتأثيراته على مستقبل الانسان الكردي بشكل خاص والمجتمع الكردي بشكل عام.

انه عمل وواجب قومي مقدس بالامكان انجازها بكل سهولة واعلن من جانبي استعدادي للتعاون مع هذه اللجنة اذا وجدت من يويده اقتراحي وكلي ثقة بان الكرد سوف يترجمون اعمال هذا المفكر والعبقري ان عاجلا او اجلا، ولكن كلما تمت العملية بسرعة اكثر كلما اختصرت المسافات الطويلة لنهوض وايقاض الانسان الكردي وخروجه من عتمة الاحلام المظلمة المزعجة الرهيبة التي خلفها رداء الفكر الديني العربي.

قال لي صديق:

ومن يكون هذا العبقري يا ترى؟ من هو عبدالله الذي ولد في القصيم بالسعودية حتى ترى في ترجمة اعماله ما يشبه عملية الخلاص من الفكر الديني؟ ولماذا لم نسمع به من قبل؟ هل في جعبته اكثر مما كان لدى كامو وسارتر؟ هل في كتاباته ما يميزه عن سلمان رشدي وصادق جلال العظم او عبد الخالق معروف وغيرهم؟

الا ترى ان مجرد اسمه ومدينته وبلاده كافية لكي نتصوره من يكون؟

قلت لصديقي:

اننا امة عانينا ولا نزال نعاني من الظلم والاضطهاد القومي ولا يعقل بنا ان ننظر الى الافكار والاشياء من ظاهرها ونحن في عصر العولمة، بل ان واقعنا يفرض علينا ان نكون اكثر الناس اهتماما بالجواهر لا بالمظهر، او ليس محمد وهو قريشي من مكة بالسعودية ونحن نعيد افكاره 14 قرنا بالزيادة وليس بالنقصان؟

ليس اسامة بن لادن الذي بث الرعب في قلب اقوى دولة في العالم، سعودي ايضا ولم تتمكن جميع اجهزة المخابرات في العالم من يقافه او القاء القبض عليه لحين كتابة هذا المقال؟

هل يستغرب ان يكون نقيضهما سعودي ايضا؟ هل من عيب في ان يكون اسم الانسان عبدالله او مناحيم او دستوفسكي؟

هل المظهر يعبر بالضرورة عن الجوهر؟ لماذا لا ننتمي قيل كل شيء الى ذواتنا كاتسان وليس كقومية ولغة؟ ليست مشكلة الكرد الاساسية تكمن في التنطرف والمبالغة في العاطفة والانفعال وكان الاجدر به ان يكون متطرفا في العقل والادراك.

الى متى سنظل نتدرب بمصالحنا ونبرر غيابتنا واهمالنا بالظروف المحيطة بنا؟ او ليس الفكر الكردي صورة مشوهة من الفكر العربي المشوه اصلا؟ ولكن... لنكن اكثر صراحة هل يوجد اصلا شيء يدعي فكر كردي؟ وماهي الاسس المادية والمعنوية التي يستند عليها هذا الفكر؟ لماذا انقلب الكردي عن دين ابائه واجدادهم؟ الم يحدث ذلك بحكم السيف؟ الا يحمل الكردي نفسه ذلك السيف ويشهره ضد بني قومه في يومنا هذا؟ والى متى يبقى هذا السيف الدموي مسلطا على الرقاب البريئة؟ الى متى سنبقى مسلمين بالقوة والى متى نعيد الاله ذاته بقوة؟ هل ان الاله غيبي الى حد لا يفرق بين من يعبد حبا وايمانا وبين من يسجد له خوفا وكرها؟ اي اله هذا الذي يدعو اليه مخلوقاته بحد السيف؟ هل بالامكان تغيير دين الى دين آخر او الى دين جديد او لا دين دون انقلاب ثوري وفكري واجتماعي؟ ام نترك ذلك لحكم الظروف؟

ان مثل القصيمي هو كمثل ميخائيل غورباتشوف حينما اعلن افلاس الماركسية في روسيا وعدم جدوى استمرارها امام التطورات الاجتماعية والحضارية الحديثة. ربما كانت الماركسية مفيدة ونافعة لحقبة من الزمن وفي ظل ملابسات تاريخية معينة ولكن الاصرار على استمرارها يحولها بالتأكيد الى قيود وسلاسل في رقاب الناس.

ان من اتحدث عنه هنا هو غورباتشوف عربي ولكن اسمه عبدالله وهو من القصيم بالسعودية.

ان اسمه ومكان ولادته لا تعني اكثر مما تعني اسم الكاتب الروائي السويدي (نيكلاس رودسترويم) غير المعروف في الوسط الثقافي الكردي تماما مثل عبدالله القصيمي.

هل سمعت بهذا الاسم من قبل يا صديقي وانت تعيش في السويد منذ فترة طويلة؟ ان كنت قد سمعت به فهل قرأت له شيئا؟ لقد قرأت له انا بالصدفة رواية (حينما يفكر الوقت في شيء اخر) فتعرفت بحق على كاتب روائي كبير ووجدت نفسي امام موهبة مؤهلة تماما لان تكون اشارة هامة في تاريخ الرواية السويدية. كان ذلك دافعا لقراءة رواية ثانية له بعنوان (القمر لا يعرف) وتأكدت حينذاك ان الانسان لا يمكنه اللحاق بالمسيرة الثقافية المتطورة الا بقدر ضئيل جدا و(لا يكلف الله نفسا الا وسعها) كما ورد في القرآن الذي نحن بصددده هنا.

ان ماكتبه ويكتبه (نيكلاس رودسترويم) هو غير ما كتبه القصيمي فبالامكان عدم قراءة روايات نيكلاس والاستعاضة عنها بروايات اخرى دون اي حرج اما ماكتبه القصيمي فهو فكر ومناقشة عميقة عن الله والقرآن والكفر والحياة لا يمكن تعويضه بقراءة كتاب اخر لنفرده المتميز في هذا المجال. انه لم يكتب رواية رائعة مثل (الساعة الخامسة والعشرين) او (زوربا) او (القرم) كي نتذكر ابطالها ومواقفهم او الاحداث وانعكاساتها المرئية وغير المرئية على شخصيات الرواية ولكنه كتب مالم يكتبه مؤلف اخر قبله.

لقد حاول ان يسبق ميخائيل غورباتشوف فيما فعله بسنوات عديدة ولكن الاخير كان اوفر حظا بنجاح دعوته لانها دعوة اجتماعية وسياسية بينما يدعو القصيمي الى نبذ الواقع الديني السائد وتغييره من الجذور. وهيئات ان يكتب النجاح لمثل هذه الدعوة في الدول العربية والاسلامية بكل هذه البساطة رغم انه قدم المزيد من الادلة الدامغة على بطلان الفكر الديني.

ان مجرد مناقشة مثل هذه الافكار والمفاهيم تؤدي بصورة اوتوماتيكية الى زوال جميع الانظمة السياسية في الشرق وجميع الاديان السماوية لانها تمس المقدسات في عقور دارها. اقول مقدسات لاننا تعودنا ان ندعوها بالمقدسات ولكونها مقدسات فقد حرم علينا التأمل فيها وفي نتائجها وكيونيتها وماهيتها وعلينا قبول الاستسلام رغما عنا دون استفسار او تعمق كما يقول المسلمون (عليكم بالعقائد العجائزية) اي ان العجائز يكتبون بالقول: هذا امر ربي، او هذا لا يعلمه الا الله، حينما يتعلق السؤال بشيء غامض او يكون بحاجة الى مزيد من التأويل وكل من يتجاوز هذا الخط الاحمر يكون مشروعا للموت والقتل باستمرار، فنحن ولدنا وترعرعنا في احضان مجموعة من الاوهام (المقدسة!!) حرم علينا مناقشتها على المستوى العالمي

والاجتماعي وحتى الدولي. ليس حكم ايران بالاعدام على سلمان رشدي خير مثال على ذلك؟ وماذا كان مصير عبد الخالق معروف الذي اغتيل وهو لا يزال في بداية الطريق؟

ما هي الاهداف الكامنة خلف ما يرتكبه الارهابيون من جرائم بشعة في اجزاء مختلفة من العالم؟

ان القصيمي لا يسب او يشتم او يلعن احدا معينا بالذات ولكنه يهاجم بافكاره الملتهبة ملوك النفط والقادة والرؤساء دونما استثناء. انه يعطي الحق لنفسه ولكل انسان آخر بان يتسائل عن غرض الاله في خلق الانسان، واذا كان لا بد من خلقه فلماذا خلقه بهذه الصورة ولماذا قذف به في فوهة البراكين الساخنة او المجاعات القاتلة او الحروب المدمرة. ماهو ذنب الطفل البريء في ان يجوع ويموت من الجوع؟ ما ذنب الاطفال والنساء اليهود الذي رماهم هتلر في افرانه الغازية؟ الم يكن الذين قتلوا عشرات الالاف من الاطفال والنساء الكردي في العراق مسلمين ومؤمنين بالله وبرسوله العربي؟ الم يكن الضحايا انفسهم قد رضوا بالاسلام ديناً لهم ايضاً؟ هل ان كل ما يحدث على الارض هي نتيجة للتفاحة اللعينة التي كانت محرمة على حواء في الجنة؟ هل يعقل ان تكون تفاحة واحدة سبباً لمليارات الكوارث؟ البيست جميع الاديان تتفق على ان الله قد خلق آدم وحواء في الجنة وهذا هو ما يليق بالذات الالهية فعلا وهل تستحق الانسانية ابتداء من خلق آدم الى يوم القيامة كل هذا العذاب والعقاب نتيجة خطأ بسيط جدا ارتكبتة حواء؟ الا يقول القرآن (اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة) وكلمة (جاعل) هنا ورد قبل خلق آدم. اذن ان الله قد قرر مع سبق الاصرار خلق الانسان على الارض وليس في الجنة؟

نعم كيف ومتى ولماذا فكر الاله في خلق الانسان؟ ماهي الدوافع والاسس التي تقف خلف عملية الخلق؟ هل تطابق عملية الخلق بما تحملها من كوارث انسانية وحماقات كونية مع العدالة الالهية التي من المفروض ان تكون عدالة مطلقة؟ اخيرا ماهو الغرض من خلق الانسان اذا كان الله يعلم بان قابيل سوف يقتل هابيل وهما من ابناء آدم ليس لشيء الا لكي يظفر بالزواج من اخته قبل اخيه؟ لقد ورد في القرآن (قد خلقنا الانسان في احسن تقويم) وهناك آية اخرى تقول (انا خلقنا الانسان ضعيفا) فلماذا خلقه ضعيفا وهو يعرف بان ضعفه هذا يدفعه الى ارتكاب المزيد من القبائح والحماقات وفيضانات الدم؟ الم يكن بإمكانه ان يخلقه قويا اذا كان لا بد من الخلق الحالي : فأين هو من احسن تقويم وتفكير !

هذه بعض التساؤلات التي حاول القصيمي الاجابة عنها وهي تساؤلات قد مرت على كل البشر تقريبا، ولكن المسلم المتمتع كلما كان اكثر ذكاء واكثر ثقافة كالقصيمي، كلما كانت تساؤلاته اشد وقعا على النفس البشرية بما يملكه من خلفية طويلة في دراسة لقران والاحاديث النبوية بما في ذلك كونه طالبا في جامعة الازهر ودخوله في مناقشات حادة مع عمالقة الفكر الاسلامي في الازهر. ان القصيمي ينعت من قبل المؤسسات الدينية وعلماء الدين الاسلامي بالغول والمرتد والزنديق والملحد، ذلك لانه كان مسلما ومؤمنا بالقران والحديث وكتب في هذا المجال لمدة اكثر من خمسة عشر عاما وباستمرار لغاية عام 1946 حيث بداعت الشكوك والظنون تساوره في امور مهمة ولانه كان صادقا وشجاعا فقد تحولت هذه الشكوك الى تمرد وعصيان على الفكر الديني ومحاولة صياغة حياة جديدة او دستور جديد لهذه الحياة خارج نطاق الفكر الديني فكتب (هذي هي الاغلال) عام 1946. نحن هنا لسنا بصدد عرض كتاب (العرب ظاهرة صوتية) الذي يقع في اكثر من سبعمان صفحة من الحجم الكبير بل وجدنا ان نضع امام القارئ بعض ما قاله القصيمي في هذا الكتاب، لكي يحكم بنفسه على مدى اهمية الكاتب والكتاب. الذي يحتوي على خمسة وعشرين فصلا.

الكتاب يستحق بجدارة عشرات الاطروحات الاكاديمية من ماجستير ودكتوراه لما تحمله من افكار جديدة وادلة وبراهين ثبوتية وان رسالتي الماجستير والدكتوراه للباحث الالماني (يورغن فازلا) خير مثال على ذلك علما انه كتب فقط عن احدى مؤلفات القصيمي وهو كتاب (هذي هي الاغلال)، فما بالك بعشرات المجلدات الضخمة من مؤلفاته وآلاف الصفحات من افكاره، اعترف بانني قبل متابعتي وقراءتي للقصيمي كانت لاتزال تتوفر لدي ومضة امل في مجي السيد (جودو) اشارة الى مسرحية صامونيل بيكيت (في انتظار جودو). فقد كنت انتظره باستمرار مع فلاديمير واستراجون بكل ما يحتويه كلمة الانتظار من شوق ولهفة وقلق ونفاذ الصبر. كنت اأمل في كل شيء. في كل حركة وظاهرة وافكر فيه قبل نومي وفي احلامي وحتى عند اشغالي بامور الحياة اليومية الرتيبة والمتكررة دوما.

احيانا كنت احاسب ذاتي بانني اعيش في عصر العولمة والانترنت وغزو الكواكب البعيدة عن الكرة الارضية واشجع نفسي بالانشغال بشئ اخر وينمط اخر للتفكير يكون افضل من عبثية ولا جدوانية الانتظار لكنني كلما هربت من فكرة معينة سرعان ما وقعت في متاهات افكار اخرى اشد شراسة في اقامة الحصار حول مشاعري وتفكيري. عانيت ما عانيت من هول الانتظار السقيم ولكن السيد جودو لم يأت ولم استطع التعبير عما افكر فيه بالكتابة شعرا كان او نثرا.

فجأة: نهضت مثلما نهض (زرادشت) من مغارته بعد ثلاثين عاما واكتشفت بان السيد (جودو) سوف لن يأتي ابدا.

وتحول القلق في اعماقي الى قناعة شبيه نهائية بان السيد جودو لا يوجد ولم يسبق له ان وحد او ان خلق الانسان بل هو من نسيج خيال الانسان وان الانسان هو الذي خلقه ليبرر بذلك ضعفه امام التفكير في الوجود والكون ويبرر ايضا خوفه وذعره من (الموت) وما يتركه الموت من عجز وغربة ورهبة وتساؤلات عندما راه واقعا لا بد منه وهو النهاية المحتومة التي لا مفر منها. لان الموت كما يقول باربوس (اهم الافكار اطلاقا). اتمنى ان يظهر بين الكردي ايضا من يكون في شجاعة وذكاء واخلص القصيمي وحينذاك نخوض غمار ثورة فكرية اجتماعية جديدة كفيلة بتغييرات جذرية شاملة.

وهذا ما دعي اليه القصيمي، اي اختصار المسافات الزمانية والمكانية، لان دماغ الانسان اكبر عشرات الاضعاف مما تصوره الانسان نفسه وقد يكون كل شيء جانز وممكن اذا رغب الانسان في استخدام دماغه واذا عرف طرق واساليب وكيفية استخدامه والتركيز المركز والمكثف دون تردد او شعور بالارهاق والتعب للسير نحو افاق التطور والتفكير الانساني السليم، أو اذا صح التعبير نحو حياة حقيقية لائقة بالانسان.

المصادر:

- 1- يورغن فازلا: من اصولي الي ملحد - قصة اشفاق عبدالله القصيمي - ترجمة محمود كبيبو الطبعة العربية الاولى 2001 - دار الكنوز الادبية بيروت لبنان.
- 2- عبدالله القصيمي - العرب ظاهرة صوتية - طبعة جديدة - منشورات الجمل - كولونيا - المانيا 2002 .
- 3 - عبدالله القصيمي لنالا يعود هارون الرشيد منشورات الجمل 1997 الطبعة الاولى كولونيا المانيا.
- 4 - تأريخ الله باللغة السويدية

Historien om Gud

av: Karen Armstrong. 1993

Oversattning: Inger Johansson

Tredje tryckningen 1998

القسم الثاني
مقتطفات مختارة
من كتاب: العرب ظاهرة صوتية

ان العرب ليظلون يتحدثون بضجيج وادعاء عن امجادهم وانتصاراتهم الخطابية حتى ليذهبون بحسبون ان ما قالوه قد فعلوه ولم يبق شئ عظيم او جيد لم يفعلوه لكي يفعلوه.

* * *

ان من اصل وارسخ واشهر مواهب العرب ان يعتقدوا انهم قد فعلوا الشئ لانهم قد تحدثوا عنه. اليسوا قد فعلوا امجاد وانتصارات حرب اكتوبر لانهم قالوا انهم فعلوها؟ اليسوا قد فعلوا كل امجاد وحضارات وانسانيات التاريخ لانهم قالوا ذلك. اليسوا قد قالوا ذلك لكي يعتقدوا انهم فعلوه؟ اليسوا قد قالوه لكي يكون بديلا عن ان يفعلوه؟

* * *

ايها الكذب البليد. ايها النفاق الفصاح المضحوخ، ايها الغباء الجاهل، ايها الجهل الغبي، ايها الصهيل العقيم البذيء ايها السقوط، ايها العار الفكري والنفسى والاخلاقي والفني والتعبيري ان كل المجد والسلطان لك. ان التفسير الدائم الشامل الصادق للانسان العربي انه الكائن الذي لاتوجد اية علاقة محاكمة او محاسبية او محاوراة او مساعلة او غضب او رفض او احتجاج او حتى عقاب بين لسانه وعينه او تفكيره او ضميره او ارادته او قدرته او حقيقته او كينونته او نيته او اي شئ من حياته او مواجهاته.

* * *

ما اصغر الافواه التي تتحول فيها اصغر الاشياء واكذبها الى اكبر الاشياء واصدقاء. لهذا ما اصغر افواه النبوات والقيادات والزعامات العربية. اننا صغار صغار لهذا تصبح اصغر الاعمال والامجاد بل واكذبها في روانا ومزاعمنا كبارا كبيرا. اذن افرحي يا اسرائيل فان مجدك وثوابك عظيمان. ان الاله سوف يبالغ ويتأنق ويتعب جدا في حسابات وتقدير مجدك وثوابك ومفجرة ابار الايمان والتقوى المخزونة في الارواح العربية. يامن سوف تظلمين تفجرين وتجديدين هذه الابار لانك سوف تظلمين طويلا تصنعين اسباب ذلك، يا اسرائيل المحظوظة باعدائك ، يكون العرب هم اعدائك.

* * *

ليس التصور ولو احيانا هو انكى واقوى واعمق منطقا وتفسيرا وتخطيطا للواقع؟
ليس التصور اتقى وارحم من الواقع؟
ليس كل واقع بلا تصور ومتصور سفها مهما عايشه وعاش به العقل؟
ليس الكون وكل شئ يبيى حقا وعدلا وجمالا ومقبولا ومعقولا بالتصور اكثر مما جاء او يبيى كذلك بالواقع؟
ليس الكون قد جاء بكل هذا القبح والغباء لانه قد جاء بالتصور له او منه؟

* * *

متى يشفى او هل يمكن ان يشفى او اليس واجبا ان يشفى الانسان العربي والاعلام العربي والزعامات والقيادات العربية من هوس العبور او مجد العبور او مرض العبور؟
لقد اصبح العبور ومجده والتحدث عنه والتباهي به جنونا ومرضا وسخفا وافتضاحا عربيا يجب ان يداوا ويفرغوا منه اساليب التفريغ.

* * *

ان اخطر واقبح امراض العرب حديثهم الدائم عن امجادهم التي لم يروها او يعرفوها او يريدوها او يستطيعوها. وهم محتاجون دائما الى ان يصدر اليهم الطب والشفاء من خارج انفسهم لمواجهة كل امراضهم والامهم .
انهم المرضى الذين لا يلدون الاطباء او يتحولون الى اطباء. ما اخس وانذل واقسى وابلد العالم اذا لم يغفل كل شئ ويسخر كل عقبرياته لشفاء العرب من عبورهم ومجدهم ومن حديثهم عنه ومباهاتهم به وهم كما فسر ونبت لا يملكون احتمالات ان يشفوا انفسهم الا بقدر ماكانوا يملكون من احتمالات تكافؤ عقبرياتهم واخلاقهم مع عقبريات واخلاق النقط. بل ان العرب لمحتاجين الى من يشفيهم من كل امجادهم ومن الحديث عنها والمفاخرة والاعجاب بها والتحديق الدائم الاعمى فيها مثل احتياجهم الى ان يكون لهم مجد فوق الارض، فوق النجوم والاقمار والسحاب وليس فقط فوق المنابر والسطور والشفاة تحت شواهد القبور. انه لا مرض كمرض العربي متحدثا عن امجاده، مصليا له، منشدا فيها وعنفا وفوق منابره.
قد يظل العرب يتحدثون عن عبورهم وعن مجده ويظلون يسترون ويكفرون به كل هزائمهم وضعفهم وذنوبهم وفضائحهم حتى يصبح العالم لايعرف عنهم الا انهم شعب العبور او الشعب العابر.
حينئذ قد تنسى او تطرد وتهزم كلمة (الشعب العربي) ليصبح البديل ((الشعب العيوري)) لا ((الشعب العربي)) ويجب ان لا ننزعج او نخجل او نغضب من هذا الاحتمال فقد يكون ربحا لنا دون اي خسران واي خسران من كلمة عربي.
قد يكون لهذا الاسم الجديد العديد من المزايا ومنها ان كلمة (الشعب العيوري) تصبح حينئذ بعض كلمة (الشعب العيوري) اي اقل منها اي يصبح العيوري اكثر من العيوري اي يصبح الانسان العربي اي الذي كان عربيا اكبر من الانسان اليهودي.

* * *

انن اليس هذا كسبا ومجدا لايرتفع اليه اي مجد من امجادنا حتى ولا كل مافي قبور كل انبيائنا وخلفائنا وسلطيننا ودرأويشنا وآننا من امجاد مخطوب بها مكتوبة مقروءة مروية دون ان تكون مرنية، نعم اليس ذلك كذلك؟ اليس كل امجادنا امجادا قيورية لا تراها العين او تمسك بها اليد او تحيا في الحياة وانما يستمرغها الفم على الاذان والاقلام والصفحات والتاريخ. اليس كل الامجاد المرنية هي امجادا غير عربية؟ اليس العرب مرضى جدا بالوفاء والتقوى الاخلاقية لهذا يرفضون ان تكون امجادهم مرنية ؟ اليس الامجاد العربية مصابة بأقصى حالات الخجل والتواضع لهذا لاتستطيع ان تريد او تقبل ان تكون مرنية لهذا هي ايدا مرورية قيورية منيرية، تروي وتخطب بها وترقد في مقابرنا مع تاريخنا الراقد في مقابره دون ان ترى او ان تستطيع او يستطاع ان ترى او ان تحيا او ان يحيا بها احد؟ اليس الامجاد العربية امجادا غيبية اي كالامجاد الالهية ، كالأذات الالهية؟

* * *

هذه محاولة لمعاقبة الذات انها محاولة مبتدنة، ومع انها مبتدنة فانها تكاد ان تكون الاولى في معاتبنا لانفسنا ولتاريخنا بكل هذا الجهر والروية. انه عقاب للنفس لا يرتفع الى محاكمتها بل لعله لا يصل الى نقدها بالاسلوب المطلوب المفروض. اليس المفروض ان تجيء قسوة او قوة النقد المتكافئة مع بشاعة الخطأ او الذنب او التقصير او العار او التذليل للنفس او الاعجاب بضعفها ونفاهتها مع سماجة وقبح الغرور بها والادعاء لها. ان هل هناك من يستحقون ان يعاقبوا ويعذبوا باقسي النقد واشمله وادومه غير العرب او ان تكون كافية لنقد العروية وتاريخها او قدرة على ذلك اذا كان محتواها ان يكون النقد متكافئا مع الاستحقاق له؟ ان النقد القاسي الصحيح لعيوب الذات وضعفها ليست قيمته في انه نقد ولكنه في انه رؤية وشجاعة وصدق ورغبة في الانتقال الى الافضل وتطلع الى ذلك وشوق اليه. لهذا كم يجب ان نتعود نحن الشعب العربي او الشعب العيوري مالم نتعود شيئا منه في كل تاريخنا. اي نتعود تقبل وغفران هذا العتاب او النقد للنفس الذي لم نتعود قط ان نقوله او نكتبه او نسمعه بل الذي لم يصبح يوما ما حلما او املا او تصورا من احلامنا او امالنا او تصوراتنا اعني النقد الذي يعني الرؤية والجرأة والصدق والشوق الى الاقتحام والتغير والاصرار على التنفيذ . انها لقضية انسانية وحضارية واخلاقية بل وطنية وقومية .

انها حروف اولى من لغة يجب ان تتعلم العروية الجرأة على النطق الجاهر بها وعلى الاستماع المتوثب اليها بكل معاني الاستقبال المستجيب المتلهف المتوقد .

* * *

ان العرب في حساب الزمان عربان: عرب قبل النفط وعرب بعد النفط .

* * *

ان قبح غرورنا ليس في غرورنا فقط بل و في قبح اساليبنا في التعبير عنه . وفي ايهما نحن اوقح واقبح : في غرورنا ام في تعبيرنا عن غرورنا .

* * *

هل يوجد عباقرة مثل من يحولون اقسى الهزائم بالفعل والروية الى اعظم الانتصارات بالقول والسمع ، اي لتصبح اعظم الانتصارات بالتصديق والايما ن والافتتاح والوطنية الثورية ! ان هل توجد عبقرية مثل عبقرية العرب لهذا التفسير ؟ لا..لاتوجد ولن توجد. ان العرب دائما اضخم العبقريات .

* * *

انني لو كنت لها راضيا عن الهيته ومعجبا مؤمنا بها كل الرضا والاعجاب والايما ن . او لو كنت عبقريا راضيا عن عبقريتي معجبا مؤمنا بها كل الرضا والاعجاب والايما ن ثم سمعت العرب يتحدثون ويخطبون ويكتبون عن عظمة الهويتي لكان محتوما ان اشك في اني اله او عبقري بل ولرفضت وخجلت ان اكون هذا او هذا .

* * *

اتمنى لكل انسان ان يصبح حبا وصدقا وجمالا ونبوة وشعرا وفنا بلا ايما ن او مذاهب او تعاليم ورفض له ان يصبح ايما ن ومذاهب وتعاليم بلاجمال ولاحب ولا صدق ولا نبوة ولافن ولاشعر .

اتمنى لكل انسان ان يكون انسانا لاايما ن او عقيدة . ليست العقائد تزويرا وتشويها للاسنان وعدوانا على طهارته وبراعته وبكرته وصفائه وحبه ؟ ليست عدوانا على جميع تفاسيره وصيغته الانسانية ؟ ليست تعلمه كيف يعادي ويبغض ويحقد ويقبح ويذنب ويضل ويسفه ويفاقل ويقتل بل وتشرع له ذلك ! ليست العقائد اسلحة يبتكرها ويعدها ويشحذها ويحملها ويرفعها القادة والزعماء والمصلحون الماكرون الخبثاء والجهال ليضربوا ويخدعوا ويذلوا ويخيفوا ويحاربوا ويحكموا ويشوهوا بها الانسان !

هل ابتكر هؤلاء الخبثاء سلاحا مثل سلاح الايما ن والاعتقاد والمذاهب والتعاليم لقهر الانسان واذلاله ولافساد ذكاته وضميره وحبه وبراعته واخلاقه ولسوقه الى كل حماقاتهم وعداوتهم واكاذيبهم تحت اعلى الاثاشيد نزقا ودويا وقبحا . هل في عبقریات الشيطان ما يساوي عبقريته التي الهتمت القادة والزعماء والمعلمين الماكرين ابتكار المذاهب والعقائد والتعاليم !

وهل صادق الشيطان اصداقته ومساعديه بشئ مثلما ساعدهم بابتكاره لهم سلاح الايما ن والتكلمات الدينية والمذهبية وغيرها..

* * *

ان تعليم المتخلفين ذاتيا يحولهم الى معوقين معطلين عالية . الى ظاهرة عجز وتعجز لهم والى موظفين بلا وظائف والى وظائف بلا موظفين ، دون ان يصنع منهم اي تعليمهم نبوغا او اخلاقا او اية قيمة او حتى تقوفا على الاميين في اي معنى انساني او فكري او فني او حتى لغوي تعبيرى . ان تعليم فاقدى المواهب في المجتمعات المتخلفة لن يكون الا عملية خضاء لكل عضلات والمعاني الانسان فيهم . بل ان تعليمهم لابد ان يشوههم ويفسدهم ويحولهم الى عاهات انسانية وتعبيرية شاملة ضاحجة بالقبح والعجز والسخف والفضح . انه اسلوب مقيد من اساليب قطع الايدي والارجل والعضلات والرووس وكل الاعضاء وفقى العيون ليصبحوا عاجزين عن ان يعملوا او يخطوا او يصعدوا او يفكروا او يفهموا او يروا او يفعلوا اي شىء او ان يكون لهم اي تفسير او وظيفة في الحياة غير ان يكون مجتمعهم ملزما ملتزما بان يصنع منهم ويجد فيهم موظفين بلا وظائف وانبياء بلا نبوة ونبوات بلا انبياء وعباقرة وفلاسفة وقادة بلا اية قدرة او فهم لاي شىء او على اي شىء مع الجرأة على كل شىء ليصبحوا عروشا وقيادات وجامعات ومعابد بكل تكاليفها ومظاهرها وطقوسها وضجيجها وغرور وادعاء اكثر واغبي ولكن بلا ملوك او قادة او اساتذة او مؤمنين او مصلين ، ليصبحوا فرسانا وشعراء ومفكرين ومعلمين ومتكلمين ولكن بلا اية فروسية او فكر او شعر او كلام او معرفة ولكن بغرور وكبرياء لاتستطيع شيئا منها او تجرؤ على شىء منها كل الفروسيات و الاشعار والافكار والمعارف والكلمات ولا كل الفرسان والمفكرين والمتكلمين والعلماء والشعراء .

* * *

ان المجتمعات التي يقودها ويحكمها رجال لم يتعلموا اي تعليم ولكنهم موهوبون لابد ان تكون افضل واعقل من هذه المجتمعات التي يقودها المتعلمون التعليم العالي الفاقدون للمواهب الذاتية القوية . ان تعليم الموهوب يسلب موهبته ويشحذها اما تعليم فاقد الموهبة فلن يجد فيه شيئا يخاطبه والموهبة بلا تعليم تظل مثل النظرية العبقرية بلا تطبيق .

ان ضعفاء واغبياء الانكباء الاقوياء لن يكون في غباء او ضعف اغبياء وضعفاء الاغبياء الضعفاء كما ان ضعفاء الحيوانات او الطيور القوية لن تكون في ضعفاء اضعاف الحيوانات او الطيور الضعيفة . ان اكبر الرووس لن تثبت فوق اصغر الاجسام وان اضخم الاجسام لن تنمو فوق اضعف السيقان والاقدام .

ان ضخامة الثمرة وجودتها لدليل على قوة وجود الشجرة التي حملتها وصاغتتها واعطتها . ان انكى الافكار لن تنفجر بها اغبي الرووس او اصغر الرووس .

* * *

ان اعظم العباقرة لن يتكونوا في ارحام اردأ او اجهل او افسد المجتمعات او السلالات ، ان ارحام المجتمعات الضعيفة لن تحبل بالمواهب القوية .

* * *

ان المجتمعات المتقدمة بممارساتها الحرة القوية الذكية لكل اساليب والوان حياتها واشواطها الحضارية والانسانية قد تمنع بلا قيد او حجز او اكره او تشريع او اهانة او اشعار بالاهانة او نية اهانة ، قد تمنع فاقد المواهب الذاتية القوية من ان يتعلموا تعليما عاليا اي تعليما لايحتاجون اليه ولايحتاج اليهم ولا يتلأم معهم ويتلأمون معه !ولاينفهم اويسعدهم ان يتعلموه او يضرهم الا يتعلموه ،ولا يشعر بالنقص او الهوان الا يتعلموه ،بل ولايحتاجون الي ان يتعلموه ، لانها اي المجتمعات المتقدمة تضع امامهم كل مجالات الحياة والتقدم الاخرى الملائمة المريحة النافعة لهم وبهم كما تضعهم في هذه المجالات الواسعة المتعددة المتنوعة الكثيرة النافعة الكريمة المطموح اليها .

* * *

اليس التعليم العالي اي الجامعي لغير الموهوبين يعني اعطاء هذه الشهادات بهذه التفاسير لكل واحد ولكل من يريد اياها او يطلبها .
اليس ذلك يعني اعطاء النبوه بالشهادة لا بالوحي او الالهام او بالعروج الى السئ .
نعم اليس تعليم فاقد الموهبة في اي مجتمع متخلف تعليما جامعياما انما يعني جعله وزعمه نبيا او عبقريا او خبيرا او مخططا او مكتشفا او مبدعا او فكرا او فيلسوفا او شاعرا او فنانا او قائدا باعطائه شهادة بذلك اي بالتوقيع له باناه كل ذلك او بعض ذلك .

* * *

من النحات الي نحتك ايتها الانسان العربي ؟
لماذا جاء نحتك بكل هذا الضعف والجهل او القبح او الوقاحة او البداوة او بكل ذلك؟
لماذا اختارك او اختير لك نحتك؟لماذا لم تجيء بك موهبة نحات اخر ؟
لماذا لم ترفض ايتها الانسان العربي ان يكون نحتك هو نحتك ؟
ايكما المعتدي على الاخر ؟ ايكما المتهم : انت ام نحتك؟
ايكما المتهم : الفنان ام التمثال ؟ ولكن هل انت من اعمال اي فنان ؟
هل يقبل اي فنان مهما كان متواضعا ان تكون من اعماله ؟؟

* * *

ان من اول واشمل معاني (الايمان) انه لايد ان يكون ممارسة ذاتية بل مقاسات فكرية ونفسية واخلاقية وحوارية مع الذات.
الايمان بدء من الذات لا من الذوات الاخرى وان الايمان هوتفريغ للذات من كل الذوات الاخرى ولكن اذا تحولت الي (وعاء) يستفرغ فيك الاخرين ما يريدونه فتتصور بانك (ومن) .

* * *

ان الايمان هو ان تقييم اقوى واذكى الحراسات عى حدود ذاتك وعلى انديك ،فلا تترك اي اله او نبي او قديس او زعيم او مذهب او دين او رأي او صوت يمر ليستقر في عقلك او ضميرك او تفواك او حبك او تصديقك او احترامك او اخلاقك او اية معاملة من معاملاتك الا بعد ان تفقه طويلا عند حدود ذاتك لتحاسبه بكل اجهزتك الذاتية اطول واشمل واقسى وابرع المحاسبات اقسى مما تحاسب كل اجهزة الكون اي متهم كوني بكل ذنوب وعاهات وبلادات كل الكائنات والاشياء.

* * *

ان فعل آمن مثل افعال احسن وايقن ورأى وسمع واحب ونطق ومشى وكذب وقتل وسرق ونافق .اي ان هذه الافعال والكلمات تعني ان من اسندت اليه قد فعل الشيء واوجده ولايعني انه قد فعل الشيء واوجده .
ان الايمان فعل والمؤمن فاعل للايمان وليس مفعولا به الايمان او مستفرغا فيه وعليه .
وان اكثر الملحدين ليسوا ملحدين وانما صب فيهم الاحاد صبا كما هو الحال في الايمان المستفرغ .

* * *

من يحسب و يدعى ملحدا ليس الا انسانا رفض منطقة وضميره وصدقته وشجاعته وكرامته واخلاقه وشرفه الانساني ان تكون الهته او انبيائه او عقائده او مذاهبه او انتماءاته جثتا تاريخية تلقى القاء او ان يكون رأسه مقبرة للبحث المكفنة بكل العفونات والعاهات والجرائم التي حبل بها وحملها كل جسد التاريخ المصاب بكل الاوبئة والافات والتشوهات المعروفة وغير المعروفة.

* * *

كلا ايها الكون السخيف الاليم الوقح ، انت لست عطية اله وليس فوقك او حولك او معك او فيك اي اله لان الاله لايد ان يكون اخلاقا .اني لن اتصوره او افهمه او اقبله او افسره الا كذلك .
انك ايها الكون القبيح لنفي حاسم شامل قاسي لكل احتمالات اي اله .ان اي اله بل ان اي كائن مهما كان هبوطه وضعفه لن يقبل ان تكون انت عقله او موهبته و خلقه او فنه و شاعيرته او حتى عيبه او لعبه او مسلاته .

* * *

ان دعاء الله بان يزيد عدد النجوم لايساوي الا ما يساوي بان ينقص عددالنجوم
وهو نفس الدعاء بان يموت العدو موتا عاجلا او ان يمد من عمر من نحب .

* * *

حينما نجد انسانا متفوقا في شيء او اشياء ، في ابداعه او نجاحه او نشاطه او في حدة ذكائه ونفاذ رؤيته وسرعة بديهته او في قدرته على ان يعطي الحب ويأخذُه وعلى ان يكون ساحرا قاهرا في علاقاته ولقاءاته ومعاملاته ومحاوراته ،هل نفكر في قوة ونبوغ ايمانه ام في قوة مواهبه الذاتية ؟هل نقول حينئذا ما اقوى واعظم ايمانه او مذهبه او تعاليمه او الهه اوبيه ام نقول: ما اقوى واعظم الانسان الذي في داخل ذاته؟؟
ان اي انسان لن يساوي الاضخامة او تفاهة ذاته ، لن يساوي الا حدود ذاته مهما كانت ضخامة او حدود الاله او النبي او المعلم او المذهب او الدين الذي يوعمن به اي في تصوره له او في حقيقته .

* * *

ان الله حين يمرض ويقتل ويصيب بالشيخوخة والتشوهات والعاهات لمحكوم عليه بان يفعل ذلك بقدرما حكم على ان امراض واقتل واصاب بالشيخوخة والعاهة والتشوه بان يكون مريضا وقتيلا ومصابا بالشيخوخة والعاهات والتشوهات ، ان احدهما ليس احق من الاخر بالغضب والعقاب .

ان الاله محكوم عليه بان يكون وجوده وذاته واخلاقه وشهوته وضرباته ونزواته بقدر ما حكم على المريض الضعيف بأن يكون

ضعفه ومرضه والامه . ان الحاقق والبليد لمحكوم عليهما بان يعيشا حقدما وبلادتهما كما حكم على المحب والعقري بان يعيشا حبهما وعقريتهما . لماذا جاء الاله كما جاء بكل صبغته الذاتية والنفسية والمنطقية والاخلاقية . ليس شينا محيرا وعجيبا بل ومذهلا مولما شادا جدا ان يجيء كذلك؟ هل فرضت عليه هذه الصيغة فرضا؟ لماذا فرضت كما فرضت؟ هل كان يستطيع او يمكن ان يجيء بصيغة اخرى ؟ لماذا لم يجيء بتلك الصيغة الاخرى ان كان ذلك ممكنا او كان يستطيعه ؟ واذا لم يكن ممكنا واذا لم يكن يستطيعه فأي شيء او اي قدر هذا ؟ هل يوجد مشبوه او مظلوم او محكوم عليه مثل الاله الذي لا يستطيع ان يجيء او ان يكون غيرا جاء وكان . ان من فرض عليه اي على الاله صيغته ؟ هل فرضها هو على نفسه ؟ اذن من فرض عليه ان يفرض على نفسه ويفرض عليها كما فرض؟ من فرض عليه او من اعطاه القدرة او الموهبة ؟ او الحاجة او الضرورة او الرؤية او الارادة التي فرضت عليه ان يفرض على نفسه كما فرض عليها والتي جعلته يستطيع ذلك ! لابد من الافتراض بانها يعمل بالقدرة والمشينة والحاجة والضرورة والرؤية ومن وهبه اياها او من وضعها فيه؟ كيف لم يجيء بدونها او كيف لم يجيء فيه باسلوب آخر؟ هل يمكن ان يوجد مخطط اولي؟ ولو وجد هذا المخطط الاولي فمن خطه؟؟ هو؟؟ وعلى اي قياس او نموذج يذهب ويخطط وهو لاشيء امامه او معه؟

* * *

ان اي شيء لا يمكن ان يكون بدء نفسه او سبب نفسه او مخطط ا و مدبر او حاكم او خالق نفسه . انت اذا كنت هبة موهبتك وقدرتك وارادتك وحاجتك لن تكون هبة نفسها ولا بدء نفسها . ان اي شيء يبدأ لابد ان يبدأ من او عن بداية سابقة او بدء سابق او عن حالة سابقة لابد ان تكون مسبقة . اجل ان الكلام ليس هو البدء . انه في البدء لم تكن كلمة . لقد كان الانسان هو البدء . كانت موهبته وطاقاته هي البدء . كلا ، بل لقد كانت ذاته هي البدء . هي البدء لمواهبه وطاقاته ولكل كينوناته . كانت ذاته هي البدء النسبي لا البدء المطلق . ان كل بدء ليس الا بدءا نسبيا لانه لا يوجد بدء مطلق . لقد كان الانسان بدءا نسبيا لا بدءا مطلقا . كذلك كان البرغوث والصرصار . ولو كانت الكلمة هي البدء لجاء هذا السؤال الصارم : ومن اين جاءت الكلمة التي لا شئ قبلها او معها في البدء وكيف بدأت بدنها . نعم ان اي شيء بدء ليس الا ولادة وهل اذن ليس صحيحا ولا يحتمل ان يكون صحيحا ان الانسان العربي ضعيف ومتخلف وعاجز في جميع مستوياته ومحاولاته لانه يتكلم كثيرا ويتكلم بلا ذكاء ولا منطق ولا وقار ولا تهذيب ولا انضباط . ان اسلوبه في الكلام هو احد اساليب ضعفه واحد معاني ضعفه ولكنه ليس سبب ضعفه ولا احد اسباب ضعفه . ان عقله وقلبه وضميره وعضلاته ومواهبه لن تعالج بعلاج لسانه او بتغيير عمامته او بتغيير اخشاب منابره او بتغيير الجهاز الذي يصوت منه ويصوت فيه . انه ضعيف في ذكائه واخلاقه ومعانيه الاخرى . لماذا هو ضعيف في كل ذلك؟؟ وانه ضعيف حينما يتكلم . ما اسباب ضعفه في هذا وهذا؟ ان ضعفه الكلامي قد يكون سببه ضعفه المنطقي والاخلاقي والابداعي والحربي والنفسي والفني ، ولكن العكس لا يكون صحيحا . ان قبح الصورة او جمالها قد يكون سببه قبح الذات او جمالها ولكن قبح الذات او جمالها لن يكون سببه جمال الصورة او قبحها . ان صوت الذباب او الوحش او الغراب يدل عليه اي على صاحب الصوت ولكنه لن يكون هو الذي يصوغ ذاته .

* * *

لو ان انسانا ما او اي انسان عزل عن جميع البشر ساعة مجينه فاماذا يمكن ان يكون؟ انه حتما سيكون حينئذ بلا لغة ولا تعاليم ولا عقائد ، لادينية ولا مذهبية ولا اخلاقية اي سيكون بلا اي اسلوب من اساليب التفريق والتعبير . سيكون لغة خرساء وسيكون كتابا مكتوبا بلغة لم تقرأه مكتوبا بحروف صامته ، سيكون لغة لم تتعلم التعبير . ستعيش به مختبئة جميع مواهبه واحتمالاته الذاتية التي كان محتوما او ممكنا ان تنفجر تحت الظروف الملائمة . حتما ستعيش فيه جميع طاقاته صامته . ليست اكثر الطاقات صامته . ليس كل شيء مهما كان لابد ان تعيش فيه طاقات صامته ! ان جميع الكائنات الحية تتوقف عن العطاء بالتقادم ويتخطى السن الملائمة او لموسم الملائم . هل يوجد شيء لا يوعثر فيه تقادم السن واختلاف السن! هل يمكن ان يوجد شيء يعيش كل حياته ، في عمر واحد لا تتفاوت فصوله ولا هطول امطاره . الا تكون هناك اعمار مختلفة او فصول متفاوتة في قدرة موهبة الانسان وقواه و احتمالاته في قدرتها على التفجر والنشاط والتحدى والانتصار ؟ اليس لاتبعاث المواهب اعمار محسوبة ومحكومة باعمار الموهوبين ! الا يكون هناك عمر او فصل هو اكثر الاعمار او الفصول ملائمة لانطلاق موهبة التفكير او الرسم او الشعر او الغناء او الابتكار والاكتشاف والرؤية ؟ فاذا مر هذا العمر او الفصل دون ان تجد هذه الموهبة الظروف التي تاذن لها بالانطلاق العمل او تلائم انطلاقها وعملها ضعفت قدرتها على ان تنطلق وتعمل بل وضعف حماسها وتطلعها وكل معاني الطموح فيها الا تكون السنة الثانية وما حولها من عمر الانسان اكثر ملائمة له من السنة الثلاثين من عمره لكي يلتقط اللغة من اهله ومجتمعهم بالسمع والمحاكاة . اذن فلو عزل اي انسان ساعة ولادته عن كل الناس بقي بلا لغة الى سنه الثلاثين لكان في هذه السن وما بعدها اعجز عن اخذ اللغة بالسمع والمحاكاة . اعجز منه لو استطاع اخذها في سنه الاولى اذن فعزل الانسان يعني شينين : يعني وجود وبقاء طاقاته فيه ثم يعني بقاءها حبلا لولادة وصمتا لاتعبيرا ليست جميع اللغات مثلا موجودة في كل انسان ولكن وجودها فيه قد يكون وجودا صامتا ، وليس كذلك من هو دون الانسان . اما وضع الكائن في ظرف اكبر من موهبته فلن تصنع له هذه الظروف موهبه متكافئة . اذا عاش الصرصار او الذباب مثلا بين البشر ومعهم ، يراهم و يسمعهم سوف لا يتحول الى بشر . ان الموهبة مستوي مادي . مستوى اعضاء واجهزة مادية ، وانها لا يمكن تغييرها الا بعمليات مادية كالتبيحة وكالاجهزة العلمية . ان الانسان العقري هو انسان ذاته عقبرية لا لانه اراد ان يكون عقريا . واذا اراد ان يكون عقريا فلانه عقري الارادة لا لانه عقري العظمت والتعاليم .

* * *

ان الصوت في الطبيعة وفي الاشياء ليس الا تعبيرا عن مستوى مادي وهكذا صوت الانسان ، وهكذا تفكيره و ذكاهه وعقريته بل وهكذا جميع انفعالاته واحاسيسه واستجاباته ، ان مستوى الرفض والتقبيل والاحتجاج والاشمئزاز والحب والبغض والغضب والتوتر والاسترخاء والاعجاب - ان مستوى كل ذلك ليس الا تعبيرا عن مستويات مادية ذاتية عضوية وكيميائية حتى القدرة على النوم والعجز منه ، انها حالات مادية و تعبیر عن حالات مادية بقدر ما نمو الشجرة و عجزها عن النمو ، بقدر ما حالة الفيضان والزلازل والرعد والبرق والرياح حالات مادية وتعبير عن هذه الحالة المادية . لماذا صوت الانسان وتفكيره وانفعاله هكذا ؟ انه سوال يساوي : لماذا صوت هذا الزلازل او الرعد او الفيضان وقوته هكذا او لماذا جمال هذا الوجه او الجسم هكذا : حتى مايمسى بالامراض والاحرفات النفسية وكذا الصحة النفسية ، هل يمكن ان يكون ذلك الامستوى ذات ، مستوى اعضاء واجهزة ذاتية ، تصنع

حالات مادية ، تتحول الى تعبيرات تسميها مرضا وانحرافا نفسيا وتسميها في حالة اخرى صحة نفسية. ليس الفرق بين حالة هذا الانسان النفسية والحالة النفسية لانسان اخر يساوي الفرق بين ذاتيهما من فروق عضوية وكيميائية وتكوينية، اي من فروق مادية، ليس اختلاف ذاتيهما يساوي الاختلاف بين جهازين او بين وجودين ماديين من اي نوع من الكائنات الحية والجمادية؟ ان الذين يحاولون معالجة البشر مما يدعونه بالامراض النفسية بالايحاء والتحليل النفسي او بأي علاج غير مادي هم كالذين يحاولون ان يعالجوا الثمر او الشجر بنفس هذا العلاج.

* * *

ايها المؤمن: انت خارق في جودة حظوظك. انت تستطيع ان تكون في سلوكك ونياتك واهوانك كل النذالات والفجور والتلوث والعصيان والقبح الانساني، ثم تتحول الى التقى المحمي المرعي الاول في منطلق الاله ورويته وذلك باحد الشرطين: احدهما انك تؤمن بان لا اله الا الله وبان لا معبود سواه وياته هو وحده الخالق الهادي الواهب. فاذا امنت هذا الايمان تحولت كل خطاياك وذنوبك ونذالاتك وشرورك الى تقوى وظهاره ومحبة. اذن فلتتمتع سيناتك من كل صفحات الكون بل لتتحول جميع سيناتك الى اعظم واتقى الحسنات تكتبها لك دواوين الالهة بكل اقلامها وعصى كل صفحاتها. ان اخلاق الهك العربي البدوي الذي نحت ذاته على صيغة ذات سلطانك البدوي. نعم انه سلطان عربي بدوي المواهب والحسابات والشهوات والمشاعر؟

ليس السلطان العربي يغفر لمادحه وموحده وممجده ولو نفاقا وخداعا كل اخطائه ونقائصه؟ بل ليس يهبه كل الرضا والعطاء والعطف والتقريب منه والحب له؟ اجل الست ايها المؤمن تحول الاله الذي تؤمن به الى سلطان عربي همجي، لا يحاسبك او يراك او يقرؤك الا بمقدار ولائك له واعلائك لهذا الولاء؟ الست تقول بكل الجهر والفخر راويا عن الهك ونبيك وايمانك (من شهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله حرمه الله على النار)

او تقول (مامن عيد قال: لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة)

او: (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك من يشاء)

او: (من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى او سرق او قتل).

او: " من كان اخر كلامه: لا اله الا الله غفرت ذنوبه ولو كانت ملئ السموات والارض".

ان اي انسان يقول هذه الكلمة في اخر لحظات حياته تمحي كل الاثام والاحوال التي ملأ بها اعوامه المانة او الاكثر من مائة عام التي عاشها. هل يستطيع سقاء جميع سلاطين العرب البدو ان يساوي شيئا من سقاء هذا الاله على مادحه وموحديه. هل يستطيع جميع سلاطين العرب الهمج ان يكونوا احد التفاسير الهمجية لهذا الاله الهمجي محاباته لمادحه وعابديه ومنافقيه؟

اما الشرط الاخر الذي يحول كل سيناتك وذنوبك الى حسنات فهو التوبة الى الهك والتوبة شئ خارق في مزاياها وقدرتها. انها الطاقة العجيبة التي تستطيع ان تغسل وتطهر ما لا تستطيع جميع البحار والانهار ان تغسله او تطهره. انها عملية تحول النذل والخسيس والفاجر والملوث جدا في كل تاريخه ونياته ومواهبه وقدراته الى اعظم شهيم وقديس طاهر.

يتحدث الاله في كتبه المقدسة وبالسنة اتبيانه عن شهامته وقداسته وطهارته وعن احتراق قلبه اي قلب الله حبا له وشوقا اليه وخوفا من العجز عن مجازاته وتكريمه. انها القدرة الخارقة التي تحول الانسان الى نقيض طبيعته وقدرته لانه غير اسلوبه او مكانه او لغته، خوفا او عجزا او تعبنا او خديعة.

انها اي " التوبة " هي ان تظل كل حياتك تقارف كل ذنوب ونذالات ودمامات وشرور الكون والاشياء ثم في اخر لحظات حياتك تعلن خوفا او عجزا او مكررا او متاجرة او ساما انك قد تبت الى الهك كي يصرخ الهك بكل جنون الفرح قائلا لك: تعال الي لكي اصافحك واعانقك واقبلك واعيشك وافرح وافخر بك يا نبيل واقدس واطهر واصدق كائن تمناه وتخلبه واحتلم به فكري وضميري وحيي وفني وخيالي وصنعتة واخرجه يداي وقدرتي واطوار معجزات تاريخي انا ... الاله ، انا ... الاله

ان من نماذج ذلك ان توقع بانسان ما كل انواع القتل والتعذيب والسرقة والتحقير والاهانات والوقاحات واللعنات والعدوان ' اي تفعل به وبابنائه واهله وامواله وقومه ووطنه وقيمه بكل نيات واساليب واخلاق النذالوالغث والبداءة العدوانية ثم تعلن توبتك الى ذلك الانسان أي تعلن انك لن تفعل به شيئا مما فعلت به ، مستقبلا، ولكن دون ان ترد اليه شيئا مما اخذته منه ويجن هذا الانسان فرحا واعجابا بك وحبا لك ويعطك تقى اصدقائه واحبائه

ان هذا النموذج لمن اصغر التفاسير لمجد (التوبة) والتائب والمتوب اليه، اذن هل يوجد مخادع وقح مثل التائب؟ هل يوجد مثل الالهة سداجة وضالة حينما تطلب بالتوبة وتفرح بها وتجزى عليها؟

ان من يتوب لا يغير ذاته او يصوغها صياغة جديدة وانما يزيها . انه ليس يكبر او يتطهر ولكنه انسان يضعف ويهون وان التائب ليس انسانا يتخطى ذاته ولكنه انسان يخفي ويشوه ذاته بوضعها في مقاسات واعضاء غير اعضائها ومقاساتها .

ان الصرصار حين يتوب او لو تاب فلن يكون اكبر من صرصار او غير صرصار ، كذلك الانسان حينما يتوب او الذي يتوب لن يكون اكبر مما كان او غيرما كان قبل ان يتوب.

* * *

ان اي اله او نبي او انسان يطلب التوبة من الملوئين المذنبين الوقحين المختضببن الهابطين الى كل اعماق كل الاحوال والتشوهات الانسانية . لن يكون الها او نبي او انسانا يبحث عن الكمال او الجمال او السمو او النظافة او التقوى او الحب وانما يبحث عن القبح والضعف والفحش والهوان والنفاق الراكع المطيع له . انه اله او نبي او انسان يبحث عن الطاعة والاستسلام لا عن العظمة . وهل في الالهة او الانبياء او القادة من يبحث في الاخرين عن العظمة لا عن الطاعة.

ان من يطلب بالتوبة ليس كاننا يغازل او يعشق او يخاطب النجوم او يصعد اليها او يلقي بالتائبين فوقها. ولكن كان يحدق في الحضيض ويهوي اليه ويعظه او يهدده او يرشوه ويعدده ليكون حضيضا مطيعا خاضعا له متلاما معه.

ليس كل ما تريده الالهة والانبياء والاتقياء الاقوياء من الاخرين هو الحضيض مطيعا مستسلما مريحا ملائما لهم .

والتوبة لاتعني كل هذا فقط بل تعني اقبح وافضع . ان التوبة كما يقول الاديان والايان تسعد الاله وترضيه وتفرحه ، اذن لابد من فعل مايجعل التوبة مطلوبة اي لابد من العصيان والفساد لكي يتاب منهما الى الاله بكل التصرع والاستغفار لكي يتقبل ويغفر وهو في اعلى نشوات الفرح و الاعجاب بالنفس . انه يريد ان يفرح لانه اصبح نبيلاً وشهما لانه يتقبل ويغفر ويسامح من يطلب منه ذلك .

وهل يتوب او يستغفر من لم يذنب او لم يفعل الفساد؟؟

ان ذن المؤمن مطالب بان يفعل المعاصي والفساد ليتوب ويستغفر وليسعد الاله بتقبل توبته وبالغفران له وانهم يروون ان النبي قال (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر الله لهم) كما يروون انه قال : ان الله لا يفرح بشيء مثملا يفرح بتوبة العاصي يجيء اليه تائباً مستغفراً).

ماذا لو استطاع الانسان عن كل نفسه وعن كل ما في نفسه ، عن كل افكاره واماله والامه واحتياجاته ومشاكله وتعاليمه وعن كل خزائنه النفسية والجسدية ، لو استطاع التعبير عنها باي اسلوب علمي شامل او باية وسيلة شاملة اخرى علمية ، الاحتمال جيد جدا ان يستطيع البشر في المستقبل ابتكار اجهزة ووسائل علمية دقيقة جدا يستطيعون التعبير بها عن كل ما يريدون التعبير عنه باسلوب اشمل وافضل واذكى ... اي يستطيعون بها الكلام بغير الكلام او بغير الاصوات وبغير استعمال اللغات المعروفة بغير الافواه بغير الاحتياج الى شيء من فنون لبلاغة من البيان او البديع .

ان الانسان العربي لم يدرك شيء من ذلك ، ولا يدرك انه سوف يدرك ، وهل يرى ان من الافضل او من الواجب ان يدرك ؟ وهل يمكن ان يدرك انه لم يدرك ؟ ولو ادرك انه لم يدرك فاراد ان يدرك فهل يريد حتما حينذاك ان يدرك ؟

* * *

ان ترك الانسان العربي كذلك شيء لا يطاق ، ولكن ما العمل؟ ليكن مستطاعا فرض الصمت او الخرس عليه بوسيلة قهرية، فهل يجوز حينذاك ان تنفذ فيه هذه الوسيلة القهرية ؟ هل تاذن الاخلاق او الانسانية بذلك ؟

ان الموقف، موقف خيار او اضطرار بين الالتزام باحد امرين او تقبل احد امرين كلاهما رديء بلا حدود في رذائته . فكيف يكون الاختيار او كيف يكون تنفيذ هذا الاضطرار ومواجهته؟

هنا يجب الاختيار بين احد سلوكين لا ثالث لهما ولا مهرب من احدهما :

اولا: ان يؤذن لاطفال المجتمع بان يقذفوا بفضلاتهم الجوفية في الطرقات العامة وحول البيوت بل وفوق المنابر والرووس وفي الاماكن المحترمة وغير المخصصة لذلك بل وداخل المعابد وفوق ثياب المصلين.

ثانيا: او ان يفرضوا على اطفالهم بوسيلة قهرية ان يختزنوا في داخلهم وقاحات الطبيعة هذه دون تفريغ او تصريف.

ان مثل هذا التصور شيء لا يطاق ويجب ان لا يطاق. ولكن الحكام والزعماء العرب قد اخذوا بالاختيار الاول وهم يقذفون بعفوناتهم العقلية والنفسية والاخلاقية واللغوية فوق منابر العالم ورووسه واخلاقه ومثله.

ان الانسان العاجز المتخلف اشد احتياجا من القادر على استفراغ ذاته بالتصويت . نعم، ان المتفوق القادر اكثر واقوى شحنات نفسية بل وغير نفسية ولكن وسائل التفريغ الاخرى الافضل والاذكى والاكثر تقدما عنده كثيرة جدا، وبها يفرغ شحناته الذاتية المختلفة فيصبح احتياجه الى التفريغ بالصوت اقل.

* * *

اننا حتما لسنا ملحدون لان الاحاد مستوى صعب ومعقد من التفكير والتفسير والبسالة والاشتراط والغضب الانساني والاخلاقي ومن الرؤية الشاملة البعيدة المحاكاة المحصية وهل نستطيع كل هذا؟ ولكننا حتما لسنا مؤمنين بهذا الاله و باوصافه التي نزعها وكما نعلم ونعلن ونُدعي.

هل يوجد اي احتمال باننا نؤمن بوجوده او باحتمال وجوده ثم نحيا كما نحيا، بل ثم نبقي دون ان نحترق او نذوب او ننتحر او نصاب بكل اساليب الجنون ومعانيه؟ ان وجودنا كما نحن موجودون لا يترك اي احتمال لايماننا بوجود هذا الكائن المسمى الها او باحتمال وجوده. ان حياتنا وسلوكنا لا يدلان على نفي شيء مثملا يدلان على نفي هذا الاله الذي لا نتحدث عن شيء قيل تحدثنا عن الايمان به.

اليس اسلوب الاله في التكرام ان يؤذي ويؤلم اي ليختبر ويرى ويجرب؟ اليس اقوى واذكى واتقى اساليبه في تعبيره عن حبه ورخاه ان يؤذي ويضرب ويصيب ويبتلي بالاحزان والاهوال ويكل انواع المصائب؟ اليس هذا الاسلوب كما نقول ونعلن ونؤمن هو ابرع فنونه واشعر شاعرياته في اعلايته عن رضاه وحبه وعن شكره واعجابه؟ اليس كما نرى ونروي انه يوقع باحبابه وابنائيه والاقربين اليه جدا كل العاهات والالام والاهوال واشد العاهات والالام والاهوال، تدبيرا وتخطيطا وقصدا وتعمدا لايهاب الاعلان عنه لجربهم: هل يصبحون ويشكرون ويحمدون بل ويفرحون ويغنون طربا وترحيبا ام يغضبون ويتاملون ويشكون ويتنون ويتساءلون: من فعل هذا ولماذا فعله، وما قصده ونيتته ومنطقه وحكمته ومصالحته.

اليس يميت الطفل او يفقأ عينيه او يصيبه باية عاهة وبيلة او تشويه رهيب لكي يجرب صبر ابويه وايمانها وماذا يمكن ان يفعلوا ويقولوا ويفكروا ويفهموا، ليرى هو ويسمع ويتفرد.

السنا نقول ذلك عنه في مدحنا له وفي اعجابنا بدهانه وذكائه وحكمته؟ السنا نرى اطفال الالام المنزلة بالاطفال والشيوخ والحيوانات وبالابرياء فنشير اليها بايماننا وتقوانا ونصرخ هاتفين: ما ارحمك ايها الاله وما اعدلك ايها الاله.

اذن كيف يمكن ان يعد مادحا وشاكرا وممجدا للاله من راي الالام والاحزان والعاهات والتشوهات والمظالم والبلادات والعبث والموت والامراض والجنون والخراب والدمار والفساد فقال: ما اعدلك واذكائك واعقلك واسخاك واتبلك واعظم حبك وصدافتك للناس والاشياء. نعم كيف يمكن ان يعد مادحا للاله من راي ذلك فقال مثل هذا القول ولم يعد حاجيا حادا في هجانه؟ حتى الاله لا يمكن ان يعتقد ان يمدح او يشكر حقا حينما يسمع انسانا قد انزل به كل العاهات والالام والمحن يقول له: شكرا ومجدا لك ايها الاله الرحيم الحبيب الشهييم.

اليس هذا اسلوبا بذينا متوقفا من اساليب الهجاء والتحقير يجب به المتخلفون والمتوقحون امثالنا ويتعاملون به ويجدونه قمة البلاغة والجمال والعبقرية والذكاء والتظرف؟

نعم ، حتى الاله نفسه هل يمكن ان يهبط به ذكائه وانخداعه الى الاعتقاد بانه يمدح حينما يسمع من اوقع بهم كل المأسى ويمتدحونه ويتحدثون عن نعمانه؟

* * *

لو ان جميع البشر استطاعوا بوسانلهم العملية والفنية ان يعرفوا ما يستطيع ان يعرفه او يتحملة ويقدر عليه قلب انسان ما او رنتاه او كبده او اي عضو من اعضائه او غدة من غده لما استطاعوا ان يعرفوا ما يمكن ان يتقبله او يتحملة او يؤمن به او يعرفه او يستسيغه عقل ذلك الانسان او اخلاقه او ضميره او عقائده وكذلك اي انسان اخر، قد يمكن ان تعرف الاحتمالات الصحية اي طفل يوم ولادته ولكن هل يمكن ان يعرف ان هذا الطفل لن يكون نبيا ولا قديسا ولا مؤمنا او انه لا يد ان يكون ذلك؟

* * *

ان الانسان يتحرك بين حدين لا يوجد بعد يساوي البعد بينهما ، ان هذين الحدين هما: قمة ذكائه وحضيض غيبانه . وهل يوجد في هذا الكون بعد كالبعد الفاصل بين اعلى مستويات ذكاء الانسان و ادنى مستويات غيبانه؟

* * *

البيست الافواه، هي التي تصوغ الأذان او تعودها أو تعلمها او تفرض او تشرط او تفعل بها كذلك ؟ البيست الأذان تعلم ، ثم ليس الذي يعلم يصاغ صياغة جيدة او رديئة ؟

ليس الفرق بين الأذان يساوي الفرق بين معلمها ولو احيانا او نظريا؟ ليس جميع الالهة والانبياة والجبارين والطغاة المتوحشين بقوتهم وارهابهم وتواعتهم وجبوشهم يهاجمونها ويتفجرون فيها منطلقين من الافواه ليصوغوها وليعلموها ويفرضوا عليها لتكون النموذج الذي يريدون ويطلبون؟ ليس جميع وحوش الانسان يهاجمون اذنيه مندفعين من فمه ؟

اجل من فمك ايها الانسان ينطق جميع وحوشك ليفترسوا اذنيك ! هل عرفت ذلك ، هل رثيت لاذنيك هل طلبت منهما الغفران ؟ كل الهتك وانبياك وطغائك وجهالك ومهرجيك وكذابيك واغبيائك ، كل هو علاج يغزون اذنيك متفجرين من فمك؟ هل فكرت في هذا؟ هل حدثك احد من محدثيك ؟

هل جاء اليك نبي من انبيائك ليقول لك ذلك؟ والان جانك من يقول لك هذا الذي لم يقله لك احد من قبل ، فماذا انت صانع؟ ماذا انت صانع بعد ان عرفت ان جميع غزاتك ينطلقون من فمك مهاجمين لك من اوسع واسهل وامن الطرق الى احتلاك اي من اذنيك. هل تعاقب فمك او تغلقه ؟ هل تسد اذنيك ام تقتلها ام تستسلم لما هو حادث لعلك راض عما هو حادث؟

لعلك متامر مع فمك على اذنيك؟ لعلك متامر مع الهتك وانبياك ومع كل غزاتك على اذنيك؟ لعل كل الناس في كل التاريخ متآمرون مع انبيائهم وطغاتهم والهتهم ومع كل غزاتهم على انفسهم .

لكن هل هذا هو كل العدل في تفسير العلاقات بين الأذان والافواه؟ بل هل في هذا التفسير اي قدر من العدل او الصدق او الصواب ؟ هل يدا الانسان علمتا رجليه المشي او هل رجلاه علمتا يديه الامساك بالقلم ؟ وهل عيناه علمتا قلبه الحب والشهوة والخوف او هل قلبه علم عينيه الرؤية والبلادة؟

واذا كان هذا قد علم هذا فمن الذي علم المعلم ؟

ماذا لو ركب قلب ضعيف او يد او رجل ضعيفة في جسد قوي او لو ركب قلب قوي او يد او رجل قوية في جسد ضعيف ؟ او ماذا لو ركب عقل ضعيف في رجل كبير المنصب والموقع في المجتمع او لوركب او وضع رجل ضعيف في عمل او موقع كبير من المواقع الاجتماعية؟

مالذي حدث حينما فرض على هؤلاء القادة والزعماء والحكام ان يواجهوا هذه الحضارة التي ليست حضارتهم والتي ابتدعتها مواهب ليست مواهبهم وليست في مستوى او حجم مواهبهم ؟ والمأساة ان هؤلاء القادة والحكام والزعماء لم يعرفوا ذلك اي لم يعرفوا انهم قد فرض عليهم مواهبهم هي اكبر واذكي جدا من جميع مواهبهم ،

ان وضع زعيم او حاكم او قائد يملك مواهب بشرية معينة هي اقل مما يجب ، اذا وضع او وضع نفسه في موقع كبير اي اكبر من مواهبه ، وهذا يقع كثيرا دانما ، فان مواهب هذا الزعيم و الحاكم او القائد مع استمرار مواجهاته الصعبة لن تظل في مستواها ومقاديرها السابقة المحددة المحسوبة بل لابد ان تأكلها هذه المواجهات وان تهبط بها الى حدود ومقادير اكثر ضيقا وضالة واقتضاحا ، ان المواجهات لن تكون مسالمة لمواجهتها ولا محايدة منهم . انها لابد ان تكون معهم او ضدهم .

هل يوجد من يريد ان يكون عاجزا ومتخلفا وردينا لكي لايشعر العاجز والمتخلف والرديء بالاحراج او الاذلال او التعجيز ! هل يوجد من يريد ذلك ويستطيعه ويقعله ؟ هل توجد تقوى او شهامة بهذا المستوى؟

هل يوجد عبقرى او نبي يتخلى عن عبقريته او عن نبوته (لنلا) يعذب فاقدى العبقرية والنبوة بالغيرة والحسد؟ هل توجد غربة، مثل غربة افواه غير عربية ركبت على اذان عربية؟

هل يوجد من يستحق الرثاء مثل هذه الافواه التي جرو الخيال على ان يضعها في هذا المكان ؟

. ان اذان البشر وافواههم ليست في مواهبهم ' ان مواهبهم هي دائما وراء اذانهم وافواههم ليست الاممرا او مكاتا ان الانسان العبقري لابد ان يكون فمه واذناه عبقرية وغير العبقري لابد ان يكون اذناه وفمه كذلك ! ولو انتزعت اذنا وفم اتفه واجهل انسان وركبت على انسان عبقري لكان ممتعا ان تصاب اذناه وفمه بالعبقرية وان العكس ايضا صحيح بنفس النسبة.

اي لو انتزعت اذنا وفم اعظم عبقري لتركب على انسان غير عبقري او على انسان تافه لاصيب اذنا هذا العبقري وفمه بالتفاهة.

ليس الذي يقول لاقبح الناس وجهها :انت اجمل الناس وجهها ، وهو اكثر هجاء وبذاءة ووقاحة وعدوانا وايداء من الذي يقول لصاحب الوجه الدميم مايراه ، وكذلك من الذي يسكت عما يرى فلا يقول شيئا .

ليس المادح لك بنقيض ما فيك ، بنقيض ما تراه كل العيون فيك هو اوقح واقسى هاج لك؟ ولكن اي سلطان او خليفة او نبي عربي يجزي مادح له اسخى الجزاء بدلا من ان يعاقبه اقسى عقاب !

وحين يقول (كنتم احسن امة اخرجت للناس) في اي عصر كنا نحن خير امة اخرجت للناس ؟ في عصر البداوة والجاهلية حينما كنا نمجد انفسنا ونفخر على العالم بكوننا اميين ونمجد الاله لانه خصنا بذلك ؟ ام في عصر ملوك بني امية ؟ ام ف عصر ملوك بني العباس ام في عصر الابطاليين او الفاطميين او المماليك او الصليبيين او الغزوة لاروبية الشاملة ، ام في عصر المواجهة الكنيسة الرهبية بين اسرايل وبين عشرين دولة عربية ؟ ام في عصر الثورات العربية المتساقطة علينا حينما اصبح للعروبة كل شهر واحيانا كل اسبوع ثورة ، وقد يصبح لها كل يوم ثورة ، ام في عصر النفط العربي ؟

هذا الاله النذل الشرير المتامر لكي يعلن اعلانا عالميا كونيا عن مواهبهم لكي يرفع كل اقتعة وروايات وجثث ومحاربي ومنابر وقبور التاريخ عن مزاياهم الاخلاقية والعقلية والانسانية والحضارية ، لكي يفرغ قبور ابائهم من كل امجادهم المدفونة معهم ، لكي يقرؤهم على كل العالم قراءة دولية بكل لغات العالم! نعم لقد قرأ النفط العربي العرب قراءة عالمية وترجمهم الى كل لغات العالم وفسرهم الى كل مذاهب كل العالم وفي محاربي كل العالم

نعم، في اي هذه العصور والعهود كنا خير امة اخرجت للناس ؟ وفي اي مواهبنا وصفاتنا وتفاسيرنا نحن خير امة اخرجت للناس ؟ في ذكائنا ام في اخلاقنا م في جمالنا واجسادنا ام في قوتنا ام في حضارتنا ومعارفنا وابتكارنا ؟ في زعماننا وحكامنا وقادتنا وعسكرينا ام في علماننا وشعراننا وفنانينا ومفكرينا ، ام في جماهيرنا ؟ في تهذيبنا وحبنا وصدقاتنا وعبقرية علاقاتنا بالاصدقاء والاعداء ، ام في مزايا الهتنا وانبيائنا وادياننا ام في تفوق الشمس والاقمار التي تعيش فوق الاخرين؟

في اي هذه نحن خير الامم ؟ كيف جرونا على ان ننزل هذا النص في تفضيلها على كل العالم والكون؟ كيف نجرؤ على قراءة وكتابة هذا النص او على لاستمرار في قراءته و كتابته ؟ هل فكرنا في تفاسيره ؟ ام نخف ان يسمعنا او يرانا العالم ونحن نكتبه ونقرأه ؟ الانخشي ان يرانا او يعرفنا ويفهمنا

ويفسرنا اي العالم بعد ان نسمعنا او يرانا نقرأ ونكتب ونتلوا هذا النص في تمجيدنا لانفسنا ؟ بعد ان يعلم اننا نتلوا هذا النص في صلواتنا واننا نؤمن به بل واننا نعلن ايماننا به على كل العالمين بزهو اعنف من زهو من صعدوا فوق القمر حين يعلنون خطوهم فوق جبينه ؟ فوق اعضانه المحببة المحرمة المحروسة باقوى الالهة واشرسها؟
كيف نسمح لمطابعا بان تطبع هذا الكتاب الذي فيه هذه الآية؟ كيف لاختاف ان يقرأه احفادنا القادمون او يقرأه العالم الاخر؟

اننا نقول في انفسنا وعن انفسنا وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .
شيء رائع جدا بقدر ماهو فاجع وفاضح جدا . اننا لم نزل نتلو هذا على انفسنا في جميع محاربينا ' وقد نزلنا نفعلا ذلك جراءة لا مثل لها على الافتضاح بل موهبة في البلادة والسماجة والوقاحة لا تطاول . اذن لنحاسب انفسنا على قولها لنا او قولنا لها ، على هذا الاعلام او الاعلان الكوني (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
اصحيح ان هذا قول قد قاله احد؟ قد قلناه نحن ؟ اصحيح اننا قد قلنا هذا بالسنة الهنتا وانبيانا ؟ يمكن اذن ان يكون هناك الهة وانبياء مثل الهنتا وانبيائنا؟ من هم نحن الذين سيكونون شهداء؟ هل هم مشيخات الخليج الثائر اقبل النقط ام وقت النقط ام بعد لنقط ؟ هل هم كذلك من اجل النقط وتمجيدا للنقط ام مع الاعفاء عن فضائح النقط ومع تناسيه وغفران ذنوبه وتشويهاته واساءاته ؟ هل اعط مشايخ الخليج هذا المجد من اجل نفضهم ام من اجل عبقرياتهم الحضارية والانسانية والدينية ؟
ومن هم الناس الذين ستكونون شهداء او شهودا عليهم ؟ هل هم ناس امريكا واوروبا وسائر القارات بل وناس الاكوان الاخرى التي قد نجد نحن فيها اناسا؟

هل هم الذين فرغوا هذا الكون من كل مجد الالهة ؟ او الذين سرقوا منا كل عبقريتنا ومجدنا وانتصاراتنا ؟ هل هم الذين علمونا انه لاتوجد لغات غي لغاتنا؟

واذا كان هؤلاء الناس الذين سوف تكونون شهداء عليهم هم الناس حقا اي هم اناس اوربوا وامريكا واتاس القارات لاخرى فبأي اسلوب او صيغة سوف تكون كذلك ؟ هل تشهد كلنا عليهم كلهم ام نقسم نحن شاهدين ويقسمون هم مشهودا عليهم ؟

لو ان عددا كبيرا من العباقره الحكماء المهذبين المتفوقين في جميع نماذجهم النفسية واللغوية والاخلاقية والانسانية خاضوا مناقشة عنيفة على معاشية وامتلاك امراة واحدة لا يوجد سواها ، جاهلة بليدة ، بذينة، حمقاء ، مستبدة، مغرورة، شريرة جدا، فظفر بها واحد منهم وكان حريصا جدا على ان يرضيها ويعجبها ويتلذذ معها ، مع كل ضعفها ونقائصها واهوانها ، وحريصا على ان لا يثير او يؤذي اية حساسية من حساسياتها او بلادة من بلادتها او سفاه من سفاهاتها وعلى ان لا يرفض مطلبها او رغبة من مطالبها ورغباتها، اي لنلا تتركه الى سواه الكثيرين المرشحين العاشقين المعذبين بعشقتهم لها، فهل يحتمل ان لا تتحول هذه المرأة الى عدوان فادح على مزايا هذا الرجل الذي ظفر بها الى تشويه لجميع مزاياه والى افساد باهظ لها والى ازال له عن جميع قممه وقيمه ؟

كيف اذا كان مع ذلك مضطرا الى ان يقطعها بانها يراها كل الجمال والتهديب والعبقرية والاصالة والقوة في كل اهوانها وتصرفاتها ونماذجها وتعبيراتها؟

ان اي شيء يحدث اليوم او في اي يوم آت او بعد ملايين الاعوام الضمنية قد صمم وتكرر حدوثه في اليوم الذي سوف حدث فيه قبل ملايين السنين الضمنية بل صمم وتقرر حدوثه منذ الازل ، ولكن بلا مصمم ولا مقرر ، ان كل الاشياء تحدث بلا مقرر او مصمم لان المصمم والمقرر حدثا بلا مقرر او مصمم ، لان الخالق قد وجد بلا خالق ، وانه ليتمكن ان يقال لهذا التفسير ان كل ما يحدث اليوم او في اي يوم ات او بعد ملايين الدهور قد حدث منذ الازل اي حدث بلا بداية ،

انه لا يوجد امس واليوم وغد بالنسبة لحدوث الاشياء اي لتقرير وحمية حدوثها ، ان الشيء اما حادث في كل لحظة او لن يحدث في اية لحظة اي بهذا التأويل انه اذن لاشيء يحدث قبل شيء ، ان كل الاشياء تحدث او حادثه موجودة بلا حدوث في وقت واحد او مرة واحدة ، ولكنها اي جميع الاشياء تخرج او ترى شيئا بعد شيء وهذا معنى حدوثها او وجودها شيئا بعد شيء ، ان كل ما سوف يوجد قد وجد منذ الازل وكل مالم يوجد من الازل لن يوجد في المستقبل ، انه لا قبل ولا بعد بهذا التفسير.

ان ما اقله في هذه اللحظة قد قلته يوم ولادتي بل منذ الازل قبل ان تظهر هذه الارض او هذه الشمس بصيغتها الحاضرة وان هذا ليس حديثا عن القدر الديني او عن اي قدر باي معنى صوفي او روعي او غيبي . ان العالم حينما تقول له اجهزته وحسابته ان الشمس ستصاب بالخشوف يوم كذا وان المطر سوف ينزل بعد كذا ساعة بقرارة كذا وان الرياح ستكون بسرعة كذا ان مزاج الطقس سيكون اليوم او غدا كذا فيخبر عما قالت له اجهزته وحساباته ، لا يكون ... اي العالم متحدثا بذلك عن اي قدر ، ان الحديث هنا حديث عن قوانين الكينونة وعن تسلسلها وتوالدها المتعاقب المحتوم والقدر ينافي بتفاسيره قوانين الكينونة الذاتية المحتومة بكل تفاسيرها . كيف يمكن ان يوجد الشيء الذي كان يمكن الا يوجد؟؟ اي كيف يمكن ان يوجد الشيء الذي لم يوجد منذ الازل ؟ اي بلا بداية ؟ اي حينما وجد اول شيء ؟

اي كيف يمكن ان يوجد الشيء الذي لم يوجد مع كل شيء مرة واحدة ؟ كيف يمكن ان يكون هناك ايجاد اذا لم يكن هناك موجد ؟ اي اذا لم يكن هناك كائن اخر يريد الابدان ويديره وينفذه؟ نعم: ان اي شيء يوجد لم يكن ممكنا الا يوجد . انه لم يوجد تطوعا او حبا او شوقا او اختيارا او منطقا او تدبيرا و تخطيطا او شهامة او مجاملة او تدنيا بل لقد وجد لانه لا يستطيع الا يوجد . لقد وجد لانه ان كان موجودا لو كان ممكنا الا يوجد الاله والا يوجد كما وجد والا يوجد الاشياء والعوالم كما اوجدها، فكيف يمكن ان يوجد وان يوجد كما وجد وان يوجد الاكوان والاشياء كما اوجدها؟ نعم، لقد وجد لانه كان موجودا ، كان موجودا من الازل اي بلا بداية او ارادة او تدبير او تخطيط او دعوة له او تفكير فيه ومنه.
اننا لا نريد ان نكون او نفعل او نتغير او نحيا اختيارا او تطوعا او تخطيطا بل لاننا كنا او جننا مريدين من الازل قبل وجودنا بصيغتنا هذه.

ان موت الانسان او موت الحياة لو لم يكن موجودا اي الموت من الازل اي بلا بداية لما يمكن ان يوجد. من الذي يستطيع او يريد حينئذ ان يوجد اي يوجد الموت لو لم يكن موجودا اي موته قبل ان يولد لما يمكن ان يموت ، انه لو فقد الموت يوما ما في المستقبل لكان المعنى ان فقده قد وجد منذ الازل ولكنه اي فقده لم ير ويعرف الا في الوقت الذي ظهر فيه .
اي ان ظهوره والعلم به هما اللذان حدثا لا وجوده .

ان كل شيء قد وجد بلا بداية بلا زمن : والا فلن يوجد ابدا ، ان الاحداث والكينونات والاشياء هي اسباب ونتائج ولكن مجموعة الاسباب والنتائج محتوم ان تحدث كما حدثت بكل اساليبها ووقاتها وامكانها وصيغها،

ولو كان ممكنا لاتحدث وكما حدثت لما كان ممكنا ان تحدث وكما حدثت . انه لو كان هناك خالق ومخلوق لكان محتوما ان يحدث بالاسلوب الذي يحدثان .
ان الاسباب والنتائج موجودة منذ الازل اي بلا بداية اي بلا زمن ، لهذا فان الاسباب لم توجد قبل النتائج ولكنها ظهرت وتكلمت قبلها .
نعم ، ان كل انسان وكل شيء يولد او يوجد مزروعا او مخزونا في جسمه كل ما سوف يفعله ويصيبه بلا اي تغير او تبديل او زيادة او نقصان .

القسم الثالث حوار مع عبدالله القصيمي الخرافة، الغباء، الطغيان اجرى الحوار : ادونيس

ملاحظة: نشر هذا الحوار في (لسان لحال) ببيروت 1965 وقامت منشورات الجمل في المانيا باعادة نشره كملحق لكتاب القصيمي (لنلا يعود هارون الرشيد) .

لاستطيع ان تمسك به فهو صراخ يقو كل شيء ولايقول شيئا يخاطب الجميع ولا يخاطب احدا . انه الوجه والقفا : ثائر ومتلائم ، ملتزم وغير ملتزم ، بريء وفتاك .
وانت عاجز عن وصفه ، فهو بركان يتفجر والحمم كلمات تحرق ، لكن فيما تزرع العشب ، تهدر و تتأكل و تتفتت ، لكن فيما تهمل وتتناسل و تتكاثر . فهو تيار جامح مهيب من المد والجزر ، من الانقراض والاتباع ، من الجمود والحركة ، سكون بشحنة الاحتجاج ، متناقض ومنطقي ، شعري وعقلاني ، معتم وصاف : كانه الرمل وقطرة المطر .
في كل هذا تبدو كلمته فعلا اخر من افعال الخلق ، يحرك العالم فيما يعبر عن القوى التي تحرك العالم . ولا يقدم اقنعة من الحياة ومظاهرها وطاقتها ، وانما يعرض هذه الطاقات والمظاهر بكل ما فيها من الرعب والحيوية والشهوة والعنف ، انه صرخة خلاص من الاقنعة ، وسفر الى الاطراف القصوى .
هكذا تتقاطع في صوته اصداة كثيرة : من هيراقليطس حتى العبيثة المعاصرة مرورا ببنيتشه وماركس لكنه يبقى غريبا ، اصيل النبوة والبعد ، نفاذ الحضور ، حتى ليصعب ان يوصف العربي الذي لايقروه بانه مثقف او بانه يحيا على هذه الارض العربية الرائعة المضطربة ، في هذه الحقبة الرائعة المضطربة .
عبدالله القصيمي في الفكر العربي : حدث ومجيء : حدث لان هذا الصوت البدوي الاتي من تحت سماء المدينة ومكة ، صوت هائل ، فريد . ومجيء لان في هذا الصوت غضب الرويا والنبوة .

س: ماذا تريد ان تقول؟
ج: لا اريد ان اقول للاخرين شيئا ، اني اريد ان ارمي نفسي خارج نفسي . فانا في كتاباتي اعتقد انني اعتدي على الاخرين ، واعتقد ان جميع الكتاب هم كذلك ، مهما انكروا .

س: ماذا تريد ان تقول بهذا الخروج؟
ج: اريد ان استريح لانني لا اطيع ان اصمت ، فالخروج مطلوب لذاته وانا اتحدث عن الخروج هنا ، من حيث الحافز لامن حيث النتيجة .

س: هل نفهم من ذلك ان نزعتك فنية جمالية ؟
ج: لايهمني اسلوب التعبير ، وان كنت اريد طبعا ان اجود تعبيريا لاني اعرض ذاتي على الاخرين ، لا على الفراغ ، لهذا اريد ان اجود عرض ذاتي ، كماي انسان يعرض ذاته .

س: ماذا تريد ان تعرض عبر عرضك ذاتك؟
ج: طبعا عندي سلعة فكرية معينة ، او تعبير اخر شحنة فكرية معينة تجمعت تحت ظروف مختلفة ، فانا استريح جدا حينما اعرض هذه السلعة او الشحنة ، ولا اطيع ، كما لا اريد ، ان اعرض سواها ، لان ذلك يجعلني خارجا على نفسي .

س: انت ذن مسكون بهذا الذي تسميه سلعة او شحنة ؟
ج: تماما، هذا هو التعبير الذي كنت ابحت عنه ... فانا فعلا مسكون ، كان في السابق يسكنني الالهة ، المعلمون الخالدون ، والان يسكنني عالم اخر مضاد .

س: ماهو هذا العالم ؟
ج: هو ماكتبته في كتابي (العالم ليس عقلا) وماكتبته في الكتابين اللذين سيصدران قريبا (كبرياء التاريخ في ماعزق) و (هذا الكون ما ضميره) .

س: ولكن ، هل يمكن ان توضح لنا حدسك الاساسي في هذه الكتب ؟
ج: اعتقد انني لو حاولت ان اوجز لاعتديت على هذه الكتب وانا اكره العدوان بجميع اشكاله ، لانني ضعيف جدا .

س: لو سنلت بجوهر اهتمامك كمفكر فيماذا تجيب؟

ج: احاول ان اعبر عما يضايقتي ويثير احتجاجي وينكره منطقي في كل شيء ، في الكون او النهر ، او في الشمس او في الليل ، او في الحشرة ، او في الانسان العادي الذي يهتف للغباء والطاغية، وفي الطاغية نفسه ، اوفي مجتمعاتنا او في مجتمعات الاخرين ...او في المجتمعات التي تخاصمنا ... احتج احيانا على الغمامة التي تسقط مطرا على بلد لا يحتاج اليه ، وترفض ان تزور بلدا يحتاج اليها اعظم احتجاجي على شر طاغية يسحق مجتمعا احبه ، لان لهذا الطاغية اعداره في ان يسحق ، واما الغمامة فليس لها عذر في ان توزع نفسها توزيعا سفيها.

س: انت تحتج ، وهذا عظيم ، فماذا تقدم ؟
ج: اقدم العوالم التي تسكنني

س: اليس هذا جواب شاعر اكثر مما هو جواب مفكر؟
ج: يرضيني احيانا ان اكون شاعرا لا مفكرا ، وانا في الحقيقة مفكر ، لو كنت مفكرا، لانني شاعر لو كنت شاعرا، والعكس في رأيي لا يحتمل ان يكون صحيحا . يعني انني لا اكون شاعرا لانني مفكر، وانما مفكر لانني شاعر ... وانا اشكرك جدا على هذه التهمة ، تهمة الشاعرية ، فالشعر ليس عروضا ؟ وانما هو احساس ، واستقبال للاشياء.

س: هل تعني بالماضي او بالحاضر او بالمستقبل؟
ج: لا اعني به الشمس او القارات او الانسان، ولكني اعني بالصيغ الانسانية المختلفة التي كنت اقروها واتصورها واتحدث عنها واعانيها، فتسحق منطقي ونفسي واخلاقي.

س: اليس في هذه الصيغ شيئا ما تشعر انه لايزال يشدك اليه؟
ج: نعم هناك صيغ معينة عانيتها وعشت فيها، اشعر انها تشدني ولكنها لا تشدني اليها بل تشدني عنها لو جاز هذا التعبير.

س: هل يعني هذا انك ترفض الماضي برمته؟
ج: في كتابي الذي سيصدر عن قريب "هذا الكون ماضيره؟" فصل بعنوان "ولادة فوق الصخور" قذفت فيه كل احتجاجاتي على الماضي وصيغه، بأسلوب ارجو ان يكون عنيفا جدا، وان كنت لا اؤمل ان يكون ظالما لتلك الصيغ التي كنت ارفضها، لانه لا يوجد ما يمكن ان يكون ظالما لها، لانها هي اعلى مستويات الظلم للانسان.

س: هل هي صيغ فنية، ايمانية، ثقافية؟
ج: هي صيغ تتجمع في حياة الانسان المعذبة غير المتحضرة، غير المتنورة، التي تقتات كل البدوة الانسانية.

س: الزمن وحدة، فاذا كان ماضينا مظلما كله، فان حاضرا مظلم كله، اي ان كل شي في الحاضر مظلم بالتالي
ج: الأفضل دائما يخرج من الاسوء. والحياة تخرج من المادة، والعيقرية تتولد عن الغباء، والحضارة اوجدتها البدوة. ولكن للفقر من الاسوء الى الأفضل قوانينه وضروراته، ولهذا فان الفقر دائما محكوم. محكوم بنفسه ومحكوم بظروفه ، وبطاقات القافزين.

س: كيف تفسر من وجهة نظرك هذه، تطور الحضارة؟ اليس في موقفك هذا ما يشبه الموقف الغيبي، الایماني؟
ج: قلت ان التطور خاضع لقوانينه وطاقاته وضروراته... وليس في الموقف الغيبي خضوع للضرورات او القوانين او للذاتيات وانما فيه قفزات من اعلى، او القاء من اعلى. ج:
اؤمن بالانسان لا بمنطقية وجود الانسان ولا بمنطقية سلوكه ولا بمنطقية احتياجاته او بقائه بل اؤمن او على الاصح اريد ان ينجو الانسان من كل الآلام وان يمتلك جمع الظروف الملائمة له لانه قد وجد وحيث انه وجد فانا اريد ان يسعد بقدر ما للحشرة او للحيوان ان يسعد.. لكن شريطة الا تكون هذه السعادة على حساب حيوان اخر ولا سيما اذا كان هذا الحيوان الاخر هو الانسان.

س: وهل السعادة ممكنة؟
ج: السعادة كلمة تاريخية تقليدية غير محددة فمن الممكن ان ينال الانسان كثيرا من احتياجاته، وان يهزم كثيرا من الآمه ومخاوفه. فاذا كانت هذه هي السعادة فالسعادة اذن ممكنة، بل اكاد اقول انها محتومة واما اذا اريد بالسعادة ان يملك الانسان جهازا نفسيا او فكريا او جسميا لا يقلق ولا يحتج ولا يتعذب فان هذه السعادة بهذا المعنى غير ممكنة وليس مما يسعد الانسان ان يملك مثل هذه السعادة. ولهذا نجد جميع القدماء الذين تحدثوا عن الهتهم لم يتصوروهم سعداء بهذا المعنى، بل تصوروهم معذبين بالقلق والاحتجاج والتناقض مع الاشياء الاخرى، الاشياء التي خلقوها وقد خلقوها مناقضة لهم لتحقق لهم السعادة التعذب والاحتجاج والشعور بالتناقض.
ولعل تصورهم للجنة والنار هو اعلى مستويات التصور للبحث عن هذه السعادة للآلهة. ولعل خلق الشيطان وتخليده هو قمة البحث عن هذه السعادة التي تعذب الآلهة.

س: هل هذا موقف اخلاقي ... فهل انت او هل تحب ان يقال عنك مفكر اخلاقي؟
ج: اعتقد ان الاخلاق كلمة لاهوتية فعندما تقول لي " انت اخلاقي " لا استطيع فهم ماذا تعني بكوني اخلاقيا اذا كان القصد بالاخلاقية التلاوم مع الاخرين فقد تكون الاخلاقية حينئذ قمة الخروج عن الاخلاقية. لان التلاوم يعني النفاق والكذب ومافي معناهما وهذا ضد الاخلاقية. ولو انك عبرت بتعبير اخر غير اخلاقي، كأن تقول لي انت نفسي او ذاتي او تلاومي لكان اقرب الي ان افهم، والى ان اجيب عن السؤال، فانا طبعاً ذاتي او نفسي او تعاليم الاخلاقية لا اكون اخلاقيا. فسلكي كله واهواني كلها وتعاملتي مع الاخرين كل ذلك لا تلاومي حينما اكون في الصورة اخلاقيا، مع اني بحسب يعني الا انطلاقا نفسيا ذاتيا باحثا به عن التلاوم مع نفسي ومع الاخرين. اذن فالاخلاقية لا يمكن ان تكون موجودة بحسب تفاسير العالم الاخلاقية عند اي انسان مهما كانت قداسته.

س: قصدت من الاخلاق المعنى الفلسفي والاجتماعي ؟

ج: اريد طرد الالم كل الالم وليس كل ما كتبتة الا احتجاجا على الالم والقبح ولكن حوافزي ليست غيرية انها ذاتية . فانا احارب هذه الاشياء لاني انكرها . لا لان الاخرين ينكروها . فانا اقاومها من داخلي وليس من داخل الاخرين .

س: انا اسمي هذه غيرية، اي بناء واتساع كيف يمكن ان يسمي بعضهم هذا الموقف موقفا هداما؟

ج: هذه الغيرية تعبير عن الذاتية فآلم الاخرين يقلقتني لانني اتآلم لهم ، لا لانهم يتآلمون ، فمشاهدتي الالم تصنع لي الالم . واما ما يقول بعضهم من انني هدام ، فاني اقول لهؤلاء : عندما تتهمونني بالهدم ، وتقولون لي قف لاتهدم ، فانتم حينئذ تشبهون من يطلبون من الذين يقتلون الحشرات وجراثيم المرض ، ومنظفي المدينة ، ان يقفوا عن اعمالهم . لانها اعمال هدمية . فانا نعم هدام ... اهدم الخرافة ، الغيباء ، والطغيان ، والقبح ، والتاريخ الاليم ، واعني بكلمة اهدم هنا: احتج ، واصبح لانني عاجز عن الهدم بالكلام ، بقدر عجز مخالفي عن البناء بالكلام. فكلانا عاجز عن الهدم والبناء بالكلام ، ولكن احدنا يحتج ، والاخر يرفض الاحتجاج ، وانا الجانب الاول.

س: هل تعتقد ان هناك حقائق موضوعية وانت تسعى لاكتشافها ، ام تعتقد انك تبحث عن نفسك وليس هناك حقائق خارجة عنها؟

ج: انا مدفوع بلا تدبير لا من عقلي ولا من نفسي ، الى ان تصادم بكل الاشياء تصادما عقليا وعاطفيا ، هذا كل ما افعله ، فهل هذا انتصار للحقائق الموضوعية ؟ ولا اريد ان ازين نفسي بتعبيرات يراها الاخرون تزيينا لانفسهم بان يقال عنهم انهم يدافعون عن حقائق موضوعية . فانا منطلق دائما بلا اي تدبير كاتطلق اي شيء في هذا الكون ، واذا دبرت شيئا فتدبري ناتج عن لا تدبير ، وهكذا انا دائما ، وهكذا الاخرون جميعا وان لم يعترفوا بذلك ..

س: هذه عبثية تتنافى جوهريا مع اهتمامك بنفي الالم عن الناس وتوفير السعادة لهم؟

ج: مقاومة الالم ناتجة عن مواجهتي للالم ، وانا والالم ، او انا والحقيقة الصانعة للالم ، كلانا عبثا ' وانا احتج على الالم ولا استطيع الا ان احتج على الالم ، واذا كان احتجاجي المنطلق عن ذاتي فقط ، عبثا ، فانا اول العابثين ، ولاستطيع ان اكون غير ذلك .

س: انا لست ضد العبث انما اريد ان تسوغ لنا حياتك في عالم قائم على العبث ، وحياتك كمفكر خصوصا سلاحه الاول وربما الاخير هو صياحه واحتجاجه.

ج: انا لاسوغ حياتي وانما احيها ، كما تفرض علي وكما تفرض علي الظروف الخارجية ، ومقاومتي لما انكر ليس تسويغا لحياتي وليس تسويغا لاي شيء ، وانما هو اسلوب من اساليب التصادم مع الاشياء التي لااستطيع الا ان نواجهها .

س: انت اكرت سابقا ان يلجأ الانسان الى الانتحار ، وفي عالم كالذي تصوره يتساوى الموت والحياة ؟

ج: ادا اردت بالموت ان افقد وجودي ، فلا يتساوى الموت والحياة ، بالضرورة الذاتية المعروضة علي ، واما اذا اردت بالموت ألا اكون موجودا اصلا قبل ان التزم الوجود ، فان منطقي يقول لي ايضا ان الموت والحياة لايتساويان بل الموت حينئذ اشرف وانظف وافضل وانا اعني بالموت هنا ان لا اوجد ، ولكن بعد ان اوجد واکون حيا فاني منطقي اري ان الخروج من هذه الحياة افضل ، ولكني لا استطيع ان انفذ منطقي ، فلا يوجد انسان يستطيع ان ينفذ منطقه ، ولكنه ينفذ وجوده كأي شيء غير الانسان ، هو ينفذ وجوده لا منطقه ولا اي منطق في هذا الكون ، وحتى المنطق انما هو بحث عن الوجود لاعما هو افضل منطقا ، ثم ماهو المنطق ؟ هذه كلمة ايضا تحتاج الى تفسير كثيرة.

س: يبدو من جوابك انك تعد الحياة ورطة ؟

ج: انها ورطة يرفضها منطقي بلا حدود ، لانها تلوث وعجز وضعف والم ، ولكني لا استطيع ان اتخلص منها بقدر ما تعجز الحشرة التي اذمها بكل لغاتي وبكل اشعاري عن ان ترفض وجودها غير التنظيف وغير العظيم.

ونحن في خضوعنا لوجودنا حشريون تماما. ومهمة منطقتنا وتفوقنا ان يقوي هذا الوجود ، وان يحميه ، اي ان يقوي ويحمي فينا صفات الحشرات . وهي الاستمسك بالوجود مهما كان هذا الوجود ملوثا ومذموما ، بتعاليمنا وادياننا ومنطقنا ، اني احتقر نفسي عندما اشعر انني ساكر نفسي غدا ، وبعد غد ، وهكذا ، اكرر تفاهاتي وانفعالاتي ومخاوفي ، وكل ما افعله يفعله غيري من الاشياء ، احتقر كل ذلك واخجل منه ، ولكني واسفاه محكوم علي بالبقاء ، الا اذا اضطرت اضطرارا الى مفارقتة بان يسحقني طاغية من طغاة الارض او سهم احد طغاة السماء ، اذا كنت سافارق هذه التفاهات افليس من الافضل ان انتظر حتى يحكم علي به ، بوقت لاخياره او بأسلوب لاارضاه وبصيغة قد انكرها ، بعد ان اهوون وتلوث وتعذب ؟ ولكنني لا استطيع ، فانا عاجز امام نفسي .

س: من هذه الزاوية يبدو العالم كله دائرة مغلقة ، والمستقبل مهما كان ، ليس الا صورة مكررة عن الماضي والحاضر ، بينما قلت انك تعني بالمستقبل فهل تعني به للذة لتكرار ام للذة الاكتشاف ؟

ج: لا يمكن افتراضي صيغ الماضي والحاضر والمستقبل صيغا موحدة ، بل هي صيغ مختلفة وانا ابحت عن هذا الاختلاف ، وقد اكون مع هذا غير دقيق او غير صادق ، واذا انه لو كانت الصيغ متفقة ، لاضطرت ايضا الى ان اناضل ضد للصيغة الموجودة الدائمة الخالدة لاني لا استطيع الا ان اناضل ، لان نضالي ضد الاشياء او من اجل الاشياء ، ليس الا نضالا ضد نفسي ، ومع نفسي وهذا النضال مفروض علي فرضا .

س: ماهو ان موقع الانسان ضمن الوجود المضروض عليه. كيف تنظر مثلا الى الانسان في العالم العربي؟

ج: اولاً ، اكثر ما يربني جدا في العالم العربي ، بزوغ الطغاة المتجبرين جدا ، المتفجرين تباعا في العالم العربي يسحقون كل معانيه بوسائل حضارية صنعها قوم متحضرون فاستوردوها هوعلاء الطغاة بمختلف الوسائل التي تهجم القدرة على الاذلال والبطش ، على سحق القيم كله التي جاءت بها حضارة تلك المجتمعات ، وانا اعتقد ان هوعلاء البارغين في عالمنا سيتكاثرون جدا ، باسم الثورية والمذهبية ، اني اتصور هوعلاء فاشع بالرهبة ، وعندها افكر : هل يمكن ان توجد سدود تحول بين المجتمعات العربية وهذا الطوفان من الطغيان الناتج من داخلها لاجد اي سد من هذه السدود المنتظرة ، وتوجد اليوم غواية دولية هائلة ، او منافسة دولية تضع في خدمة هوعلاء الطغاة المذلين ، كل ما يريدون ، وهنا اشعر بالخوف ، او بما يشبه اليأس .

س: تظن أذن أننا منذورون للطغاة؟
ج: اظن أننا واهيون انفسنا فترة طويلة لهذا الطغيان الذي تساعده ظروف دولية غير نبيلة .

س: أذن هناك أمل بزوال الطغيان والطاغية؟
ج: حتما ، لا يمكن إغلاق جميع احتمالات الأمل ، حتى من يكون على أعواد المشنقة يكون عنده أمل بالنجاة ، والأمل دائما ليس حالة فكرية وإنما هو فرار نفسي ، في الأكثر ، من اليأس.

س: كيف يجب ان نقف من الطغيان؟
ج: اننا لانقف بالاسلوب الذي يقال لنا به : ولكننا نقف حين نجد اننا لا بد من ان نقف.

س: مع اي اسلوب من اساليب العمل الثورية او الديمقراطية نقف؟
ج: لقد استعملت كلمة (الثورة) او (الثورية) واستغلت في عالمنا حيث صرت امقتها وان اطلقت على انبل الاشياء ، واريد بها اغزر مشاعر الحب.

س: والديمقراطية
ج: اما الديمقراطية فان في كتابي (كبرياء التاريخ في مازق) فصلا بعنوان (هل الحرية كسب للانسان او للصوم)! يجيب عن هذا التساؤل :
ولاريد ان اعتدي والخصه

س: ماذا تريد ان تقول لهؤلاء المستسلمين المقهورين؟
ج: استعمل نفسي هنا كواعظ : فانا اطلق احتجاجاتي على استسلامهم ، مع اقتناعي ، بان المواقظ والنصائح لاتجدي ، لان هناك نصائح ومواقظ مضادة ، فبأي منها اذن ، يتأثر المستمع او القارئ .

س: هل تعني ان ليس هناك مخرج؟
ج: المخرج يوجد حين يوجد من يستطيعون ان يخرجوا .